Regd. No. LW/NP56

ALBAAS -EL- ISLAMI

Nadwat -ul- Ulama, LUCKNOW (India)

البعث الإسلامي

شهرية جامعة إسلامية

رئيس التحرير: محمد الحسني

مدير التحرير: سعيد الأعظمي

المراسلات

العنوان: "البعث الإسلامي" ندوة العلماء لكهنؤ - الهند - ص.ب ٩٣

LUCKNOW (INDIA)

برقيا: ٢٩٧٤٧-٢٩٩٤٧

الاشتراكات السنوية

في الهند	٢٥ روبية، أو ٤ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالعملة المحلية
في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط	٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالعملة المحلية
في أمريكا	١٢ دولاراً بالعملة الأمريكية أو ١٥ دولاراً بالعملة الكندية
في أستراليا وأوربا	١٥ دولاراً بالعملة الأسترالية أو ٩ دولارات بالعملة المحلية

٥٠ روبية بالعملة المحلية للمكاتب والمؤسسات.

شعارنا الوحيد: إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد التاسع

جمادى الثانية ١٣٩٧ هـ

المجلد الحادي والعشرون

يونيو ١٩٧٧م

البعث الإسلامي

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

المجلد الحادى والعشرون — العدد التاسع

جمادى الثانية ١٣٩٧هـ
يونيو ١٩٧٧ م

صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية

من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف و إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة ، و بيئات مختلفة و لها خلفيات وعوامل وتاريخ ، وهى خاضعة دائماً للتطور والتغيير فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات و على الأعراض والكرامات بل أكثر منها و أشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة وحماه و شعائره ، و إخضاعها للتصورات الحديثه أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان ، وإضعاف لها لا تقوية ، و تعريض للخطر لا حصانة .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

(« الدعوة إلى الله » ص : ١٣ ، ١٤)

في هذا العدد

بين العموم والخصوص فى الحضارة المعاصرة ! — محمد الحسنى — ٣

التوجيه الاسلامى

المعجزات من نعم الله على خلقه — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى — ١٠
العلم فى الكتب المقدسة أمانة الأجيال — بقلم فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع — ١٥
التعليم فى المملكة العربية السعودية — فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الندوى — ٢٥

الدعوة الاسلامية

من فقه الدعوة ركائز الدعوة فى القرآن — إعداد : الأستاذ محمد إبراهيم شقرة — ٣٨
جماعة الدعوة و التبليغ — الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة — ٥٧

اقتصادنا فى ضوء الاسلام

أمور أساسية عن الاقتصاد الاسلامى و إطاره العام — الأستاذ محمد طاسين باكستان — ٦٩
جوانب مهمة للاقتصاد فى الاسلام — سعيد الأعظمى الندوى — ٨١

دراسات و أبحاث

من أسرار النبوة — الأستاذ شهاب الدين الندوى — ٨٨
فراغ تربوى يجب أن يملأ — محمد الحسنى — ٩٤
نشاطات عالمية و ثقافية — سعيد الأعظمى الندوى — ٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بين العموم والخصوص فى الحضارة المعاصرة !

للحضارة — أيا كانت و أينما كانت — ظاهر و باطن ، و عموم و خصوص ، فاذا أردنا تقييم حضارة ما وجب علينا أن نميز بين ما هو جوهر داخلى فيها ، و بين ما هو عارض طارىء عليها ، و بين ما هو « عام » لا يفرق فيه بين الشعوب والأمم ، و ما هو « خاص » لا يعم سائر المجتمعات و البيئات أو الديانات .

إن الخلط والالتباس فى المفاهيم الحضارية أثارت مشكلات وتساؤلات و تعقيدات . . لا مبرر لها و لا طائل تحتها ، و لا حاجة لنا إليها . .

و لنعد — قبل أن تتشعب بنا المسالك — إلى أصل المشكلة !

ما هو باطن الحضارة من ظاهرها ، و ما هو خاصها من عامها ؟

إن الحضارة تعبير عن تقدم البشرية الطبيعى نحو ما هو أعلى وأسمى ، و لكن هذا التعبير لا يأتى - بصورة عامة - خالصاً مجرداً عن الشوائب ، بل هذا التقدم العلمى و الأدبى أو الصناعى يحمل على صفحته « بصمات » من مطامح هذا المجتمع أو هذه الفئة البشرية التى تجتاز مرحلة التقدم والعمران و البناء ، و اتجاهاته ، و أذواقه ، و معتقداته أكثر الأحيان .

ثم ينقسم هذا التقدم فى شعبتين : فنرى فى هذا التقدم الحضارى ما هو عام ، مشاع ، مباح لسائر الشعوب ، و منها ما هو خاص ، و هو كلباس فصل على قامة شعب ، فلا يتناسب لشعب آخر فى أى حال من الأحوال .

ومثل هذه الناحية الخاصة أو الجوهر الداخلى لهذه الحضارة كمثل النظام التربوى و مناهج التربية و أصولها ومبادئها ، فالشعوب الحية الواعية تعتبرها جزءاً أساسياً من كيانها الداخلى . . و تريد منها أن تنبع من صميمها ، وتحقق مطالبها الوطنية أو الدينية . .

و مثل الناحية العامة كمثل المخترعات الطبيعية أو العلوم التطبيقية و هى كآلات يسخرها الانسان حسب ما يشاء . .

فالراكب على الطائرة حر فى اتجاهه و تصرفه ، و لا ذنب على الطائرة إلا أنها أسرعت فى مهمته و هيأت له أحسن الفرص و أقصر الوسائل و الأسباب . .

« و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لا تعلمون »

و هكذا فقل عن سائر الوسائل و الوسائط ، و أجهزة الاعلام و المواصلات .

و حينما نقول : إننا نحارب الحضارة المعاصرة لأنها حضارة جاهلية و لأنها حضارة الظلام و الشقاء و الحرمان لا نعنى بذلك إلا ذلك الجوهر الداخلى فى تلك الحضارة أو الجانب الخاص منها .

لماذا ؟

لأنه بنى على تقديس المادة و المعدة ، و تعبد القوة و الجاه و المال و اتباع الشهوات من غير تقييد و تبصر و تأمل ، فلنقف قليلا و لنتأمل فى بعض الأمثلة العملية و النماذج السائدة الشائعة فى هذه الحضارة .

هذا التقدم حصل — كما هو المعلوم — لأسباب تاريخية لاحاجة إلى بيانها — فى أرض الغرب ، فجاء ممزوجاً بعقليته و اتجاهه ، و ذوقه و تجاربه

الخاصة القاسية بطبيعة الحال ، ذلك فضلا عن المعايير و القيم و المعتقدات والمناهج التربوية و بعض الرواسب الصليبية ، فحينما يبنى الغربى فندقاً مثلا . . يأتى هذا الفندق صورة لخياله ، وانعكاساً لهويته ، وترجماناً لرغباته وشهواته ، وميداناً لسكره وعربدته . . ولا عتاب ، فالشجرة لاتلام على ثمرتها ، والذى خبث لا يخرج إلا نكداً . .

فصالة الرقص ضرورية ، و المسابح المختلطة لازمة ، و الخمر و الخنزير لازمان ، و ألوان من التسلية المحرمة متوفرة . .

أما المسجد ، أو موضع خاص معلوم للصلاة و العبادة فلا محل له ، و التواليت لا مكان فيه للطهارة كما بينها الشرع ، و لا مراعاة فيه للآداب الاسلامية طبعاً . .

وهكذا فقل عن أجهزة الاعلام ، وأخص بالذكر منها الاذاعة والتلفزيون فالغناء والرقص وسائر ضروب الفحشاء و المنكر و البغى صارت جزءاً أساسياً لازماً لهذه الوسائل الاعلامية . . تحت عنوان الترفيه والتسلية وتنشيط الذهن .

و هذا المثل ينطبق على زى المرأة ، ومسألة السفور و التبرج ، والتعليم المختلط فى الجامعات و ما شاكلها .

إن التقدم العلمى والصناعى فى الغرب جاء متأثراً بقيم المجتمع الأوربى وأهدافه المتميزة بالطبع ، ولكنه لايعنى أن نرفض هذه الحضارة برمتها أو نحاربها حرب العميان . . كلا ! إن الاسلام لا يسمح لنا بالصم والعمى حتى فى آيات الله ، فكيف بشرور الحضارة المادية و آفاتها .

« و الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً و عمياناً »

إن المطلب الوحيد الذى نصر عليه . . . هو أن لا نقبل هذا التقدم

المشبوب بشوائب المادية الرعناء على علاته و عواهنه . . . أن لا نكون صمآ و عمياناً ، و لا نكون أطفالا صغاراً أو تلاميذ مبهورين ببريق الغرب .. كل ما رأوا جديداً وطريفاً ولوكان مضحكاً سخيفاً صفقوا له بحرارة ، وهتفوا بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال - آمنا وصدقنا - و قالوا لكل فيلسوف و أديب ومفكر طلع من الغرب : أصبت ، و أحسنت . إنما نريد أن نأخذ هذه الأشياء كانسان متبصر ، واع ، كامل الشخصية . . . فحينما نستورد مثلا تلك الأشياء التى تدخل فى دائرة العموميات ، لا نستوردها إلا بعد تمحيص و تدقيق ، و تصليح و ترميم .

نريد أن نجعلها صالحة لأغراضنا الاسلامية ، متشبعة بالروح الاسلامية فنغير فيها كالأحرار أو نرفض بعضها - التى ليست فيها كبير فائدة ، أو إثمها أكبر من نفعها - بتاتاً كالأحرار . . و أن نحافظ - بقدر الامكان - على الطابع الاسلامى فى كل جزء من أجزائها ، فى طراز البناء . و الأزياء ، و آداب المعاشرة والاجتماع . . فى المآدب والحفلات ، وفى السهرات العائلية وأعياد العرس والزفاف ونحو ذلك . . و أن نحترز فيها عن البذخ والاسراف وأسباب الرياء والسمعة التى أنكرها الاسلام و شنع عليها و على أهلها ! و أن نفرق فيها بين الحاجة والشهوة ، فحكم ما يأتى فى الحاجة غير ما يأتى فى الشهوة طبعاً ، ولكنهما يختلطان أكثر الأحيان .

و الصحافة التى يسمونها صاحبة الجلالة . . و قد نازع عرشها و تاجها التلفزيون الآن . . فأمرها كأمر سوابقها .

إن كلامنا اقتصر حتى الآن على تلك الوسائل البريئة ، والتقدم «المجرد» أو فى تعبير آخر تلك الآلات التى قد تستعمل فى خير و قد تستعمل فى شر ،

إنها كالجوارح و الأعضاء للانسان يستعملها فيما يملى عليه قلبه و عقله و ضميره و وجدانه ، و ما يؤمن به و يصدقه .

و فيها نوعان .

نوع يمثله — قلم الحبر «باركر» مثلا — الذى أكتب به هذه السطور فقد أستطيع أن أستعمله بكل حرية فى إشاعة المنكر والفحشاء أو فى التشكيك و إثارة الشبهات فى أذهان الجيل الجديد ، و قد أستطيع أن أستعمله أيضاً ، فى إعادة الثقة بالاسلام ، و إثارة البغض و الكراهية و الحقد ضد كل ما هو جاهلى دخيل فى الاسلام ، و فى إحياء معانى الاخوة فى الله و الحب فى الله ، أو فى إقناع الشباب العصرى بخلود الاسلام و عبقريته و حلوله الناجحة لمشكلات الانسان .

هنالك لا عبرة بالقلم الذى هو آلة بسيطة فى يد الانسان ، إنما العبرة بالنية و حسن الاستعمال ، و حسن الاخلاص و الصدق مع الله .

و هكذا السيارة فقد تستطيع أن تتوجة بها إلى «بار» أو تتوجه بها إلى مسجد أو حلقة من حلقات العلم و الذكر ، و مركز من مراكز العلوم الاسلامية .

فلا اعتبار للسيارة إنما الاعتبار للهدف المنشود .

و هناك نوع آخر وتمثله حياة الفنادق أو أجهزة الاعلام ، فقد اختلط فيها السم بالدسم . . جانب منها مشرق ، وجانب منها مظلم ، ذلك ما يحتاج إلى إصلاح و تقويم ، و مراقبة وحسبة و التمسك بغنائها بدقة و شدة حتى لا يطغى كالجمل الهائج .

و هناك نوع ثالث أخير . . و يمثل هذا النوع المناهج التربوية و القيم

التى قام عليها المجتمع الاسلامى ، و المبادىء التى توجه مسيرة الأمة و تقرر مصيرها و تشرف عليها حتى النهاية .

فانها أشياء تحتاج إلى تحرر كامل و تخلص كلى من جاذبية الحضارة الجاهلية المعاصرة ، و يجب صوغها من جديد وفق متطلبات الأمـة من غير تزمت عقيم أو تخط للحدود ، لأنها من خصوصيات الأمة ومن قيمها ومسلماتها ، و مبادئها و معتقداتها .

و الدوافع الحافزة و العوامل المؤثرة فى هذا المجال تختلف بما هو عليه الشعوب الجاهلية المعاصرة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .

وتأتى فى هذه الدائرة - دائرة الخصوص - ما يعبر عنه القرآن بقولته المعجزة الخالدة ، الحاسمة الرائدة

« و يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير ، و منافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما »

« إثمهما أكبر من نفعهما » هو المقياس الذى يقاس به سائر النشاطات الثقافية و السياحية و الفنية و المعمارية التى يزخر بها المجتمع المعاصر ، سواء منه المسلم أو غير المسلم .

فالملاهى و المسابح المختلطة والسهرات الليلية والبرامج الغنائية ، والصور المثيرة ، والرحلات الاعلامية المختلطة ونوادى الخمر والميسر ، والأفلام العارية ، والروايات الماجنة ، كلها وأمثالها تأتى فى هذا الحصر القرآنى العجيب « اثمهما أكبر من نفعهما » .

إنها فى قائمة الحذف . .

[البقية على ص : ١٠٠]

التوجيه الإسلامي

المعجزات من نعم الله على خلقه

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

(و إذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون .)

هذه النعمة الثالثة على بنى إسرائيل و هى إكرامهم و إكرام نبيهم بهذا الموعد الشريف لمناجاة ربه و تكليمه بالوحى بلا واسطة بل قربه الله نجياً من وراء حجاب ، وذلك أن موسى وعدهم بعد الخروج من مصر بكتاب من الله أو أنهم طلبوا منه ذلك بعد عبور البحر فضرب الله لموسى موعد أربعين ليلة (قيل إنها شهر ذى القعدة و عشر من ذى الحجة) فلما ذهب موسى لميقات ربه لعب عليهم دجال من شياطين الانس الذين هم جنود إبليس ، و فتنتهم أفظع من فتنته ، فزعم أن موسى يستعمل طلاسماً استطاع بواسطتها إخراجكم و عبوركم البحر و أنه ظفر بشئ منها يستطيع أن يصنع لهم منها هيكل آلهتهم و إله موسى .

و هذا هو السامرى الذى ذكره الله فى سورة طه وأنه قبض قبضة من أثر فرس جبريل فى البحر لما جاء يطمئن موسى أو يباشر إهلاك فرعون على بعض الأقوال وكان عندهم حلى كثير مستعار من الأقباط فأمرهم هارون باحراقه و استعمل السامرى تلك الفرصة فأخرج لهم منه عجلا جسداً له خوار من التراب الذى أخذ من حافر فرس جبريل أو أنه ركزه على

القطب الشمالى فأخذ الهواء يدخل من دبره و يخرج من فيه فيسمع له صوت يشبه الخوار .

و كل هذا فتنة من الله يختبر بها ثبات إيمانهم و صدقهم فى شكره و لكنهم رسبوا فى هذا الامتحان لأنهم لا يرجون لله وقارا ، لايعظمونه و لا يعاملونه معاملة من يؤقرونه لأن الذى يؤقر لا يعدل به شيئاً من خلقه و هؤلاء عدلوا به عجلا صنعه دجال فلم يبق لله مكانة فى قلوبهم و لهذا كان تكفيرهم لهذا الشرك تكفيراً قاسياً جداً و هو قتل نفوسهم ، و قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون) الظلم فى اللغة النقص والانتقاص قال تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئاً) أى لم تنقص منه شيئاً وكل من نقص من حق أحد كان ظالماً ، و إذا أطلق الظلم فى القرآن كان معناه الشرك لأن المشرك ينتقص لله بنقصه أى حق من حقوق الله وصرفه إلى غيره ، قال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) و قال تعالى (الذين آمنوا و لم يلبسوا أيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) و فسر النبى ﷺ هذا الظلم بالشرك و ذلك فى أحاديث صحيحة مستشهداً بالآية التى ذكرنا قبلها من سورة لقمان فبنو إسرائيل انتقصوا الله انتقاصاً لا مثيل له بعبادتهم العجل خصوصاً بعد ما شاهدوا معجزات باهرات تدل على ألوهية الله و تبطل الألوهية ما سواه بحيث لا يجوز حصول شبهة فى قلب أى عاقل بعد بعد وقوع تلك المعجزات القاهرة فقد ظلموا باتخاذهم العجل ظلماً عظيماً ، و حيث إن ضرر الكفر و الشرك و نحوهما لا يضر الله لأنه نزه عن الاستكمال بطاعة الطائعين وعن الانتقاص بمعصية العاصين وكفر الكافرين فان ظلم أولئك يعود عليهم بالضرر و لهذا قال الله لهم (و أنتم ظالمون) .

و قوله تعالى (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) و ذلك بعد التطهير العظيم الخطير البليغ فى القسوة و البطش و ذلك أن الله رتب عفوه عنهم على توبتهم من هذا الشرك الفظيع ، و إن صدق توبتهم لا يكون إلا بقتلهم أنفسهم يعنى أن المطيع الذى لم يعبد العجل يقتل المشرك الذى عبد العجل كما قال تعالى فى الآية ٥٤ (و إذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) و ذلك تطهير للمشركين و غيرهم من العصاة المشركين لأن الذى لم يعبد العجل لم ينكر على من عبده فصارت عاقبة ترك الانكار بالكلام و المقاطعة إعمال السيف فيما بينهم ، ولذا قال لهم موسى مخاطباً لجميعهم « يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » توبوا إلى الله الذى هو خالقكم ، بارئكم من العدم إذ لا يستحق العبادة سواه و لا الرجوع إلا إليه .

و من تأمل حقيقة التوبة و غايتها لا يستنكر ما رتبه عليها من ذلك التكليف الشاق خصوصاً للنفوس الحوارة المنهارة سريعة التنكر و الايغال فى المنكر، ذلك أن محو أثر الذنب من خلايا القلب لا يحصل إلا بالتوبة النصوح و الباعث على التوبة النصوح هو شعور التائب بعظمة من عصاه وقوة سلطانه و استيفائه بأن مصيره إليه فى الآخرة و إنه لا منزلة من عقوباته المتنوعة فى الدنيا عاجلا .

فلا جرم أن هذا الشعور يبعث فى القلب الهيبة و الخشية و يحدث فى روحه انفعالا مما حصل و ندماً على حصوله و تذكراً لعقوبات الله العاجلة و الآجلة . فهذه آثار تزعج التائب وتدفعه إلى القيام بأعمال مضادة لما أذنب و ماحية له .

و من هنا لما رجع موسى من الميقات ورآهم على هذه الحال ، و طاش غضبه عليهم و على أخيه هرون وألقى الألواح و أخذ برأس هرون يجره إليه و حصل بينه و بينهم و بينه و بين أخيه ما قصه الله مجملا فى سورة (طه و الأعراف) فأسقط فى نفوس الاسرائيليين هذا الصنيع و رأوا حقيقة ضلالهم و ساورهم الخوف و القلق أخبرهم موسى بالطريقة التى يحصل فيها قبول توبتهم من هذا الاشراك الفظيع الذى وقعوا به و ليس من طبيعتهم تقديس البقر و لا عبادتها و إنما هو من طبيعة قدماء المصريين الوثنيين و لهذا أحرقه موسى إحراقاً و ذراه فى البحر تربية لهم ليعلموا أنه لا يدفع الضرر عن نفسه و لا يجلب لها نفعاً فكيف يدفع الضرر عن غيره أو يجلب له نفعاً .

و طريقة توبتهم هو أن يقتل بعضهم بعضاً لا يحنو والد على ولده و لا قريب على قريبه و هذا من جملة الآصار التى حملهم الله إياها و رفعها عن أمة محمد ﷺ عفواً منه و فضلا فانه علم المحمديين دعاءاً و نادى بقبوله (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) قال ابن عباس إنهم قالوا لموسى كيف يقتل الآباء الأبناء و الاخوة الاخوة فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى فيها بعضهم بعضاً فقالوا من آية توبتنا أن يقوم السلاح فلا يقتل و ترفع الظلمة ، فاقتتلوا حتى خاضوا فى الدماء و صاح الصبيان ياموسى العفو العفو فبكر موسى فنزلت التوبة و قام السلاح و ارتفعت الظلمة .

قال مجاهد بلغت القتلى سبعين ألفاً ، قال قتادة جعل القتل للقتيل شهادة و للحى توبة - و هذه العقوبة مناسبة لواقعهم من جهة ضخامة خطيئتهم و قبح

شركهم برب أنجاهم ممن يسومهم سوء العذاب و أقر عينهم برؤيتهم هلاكه ، ثم تكون عاقبتهم معه أن يعبدوا عجلا زاعمين ألوهيته عليهم و على موسى ثم ترك الأمر بالمعروف ممن لم يعبده فترك الأمر بالمعروف استهانة شنيعة بجناب الله ،

وقوله تعالى (إنه هو التواب الرحيم) التواب هو دائم التوبة بخلاف المخلوق فانه إن تاب عن المذنب مرة أو مرتين لا يواصل توبته عليه مراراً عديدة ، أما الله سبحانه فانه التواب للنيب من عباده مهما تكرر ذنبه إذا عاود التوبة و لم يصر لأنه الرحيم بالمؤمنين الذين لا يصرون على ذنوبهم .

ثم انظروا معشر المسلمين إلى دفائن أنفس اليهود الخبيثة هل استمروا على هذه التوبة التى لم تحصل إلا بالثمن الغالى الفظيع القاسى الشنيع ستريكم الآية (٥٥) سوء طباعهم و خبث سريرتهم ، وقانا الله من ذلك .

العلم فى الكتب المقدسة أمانة الأجيال

بقلم : فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع

المنطقة القطبية فى الشمال :

و لعل فى التعبير القرآنى بلفظ حدب — ما يشير إلى انطلاق يأجوج و مأجوج من جهة حدباء ، و الحدب تقوس أو ارتفاع ، وسط يابسة أو ماء ، واحديداب الأرض شمالا ، أمره معروف فمن المحتمل إذن أن تكون انطلاقة يأجوج و مأجوج — قرب نهاية الكون من جهة الاحديداب فى المنطقة القطبية (١) و مما جاء فى تفسير (فتح القدير) للشوكانى أن (ذو القرنين) سلك طريقاً بين الشرق و الغرب من ناحية الشمال ، ولقد قرأت منذ زمن طويل فى مجلة المستمع العربى التى كان يصدرها القسم العربى

(١) و من المعلوم أن هذه المنطقة فى أطراف الأرض شمالا ، و موضع انتقاصها كما هو موسوم فوق الخرائط ، و لعل ذلك مما تشير إليه الآية ٤١ من سورة الرعد حيث يقول سبحانه : (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) و مثل ذلك الآية ٤٤ من سورة الأنبياء و علينا أن نبحث عن قوم يتخاطبون بالاشارات أثناء شدة البرد ، و لا سيما فيما بين شمال النرويج و جرزستبرجن ، لأنها أقرب إلى الذهن توقعاً لمكان الردم ، و أكثرها توسطاً فى القطب بين الشرق و الغرب ، أو فى الجهة الموازية لها من الجانب الآخر فى القطب الشمالى ، و الله سبحانه و تعالى ولى العلم و التوفيق .

فى إذاعة لندن : أن القسم قد تلقى سؤالا يستفسر فيه مرسله عن يأجوج و مأجوج ، و كانت الاجابة نقلا عن الكتب المقدسة — أنهم فى الشمال ، و إذا كان منطوق الكتب المقدسة قد أثبت وجود يأجوج و مأجوج فى الشمال — فان القرآن قد أقر ذلك بالمفهوم العلمى ، و هذا من إعجاز القرآن العظيم .

إن الرعب ليملأ قلوبنا هلعاً كلما سمعنا أو قرأنا أنباء حفريات أو تفجيرات فى المنطقة الشمالية إشفاقاً على العمران الكونى أن ينهار تحت هجمات يأجوج و مأجوج ، و تهاوى بظهورهم أركان العالم إذا تحطم الردم و انطلقت هذه الطاقات المخربة — لولا سحابة من الطمأنينة يزجيها إلى نفوسنا قول الله سبحانه : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت و ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً) و يظهر من التعبير القرآنى فى قوله سبحانه : (أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً) — ما يزيد العالم علماً بأن شكل الأرض و نظامها يقوم على أساس كرويتها ، و تناوب النور و الظلام فوق سطحها ، و أنه عندما يأتى أمر الله الذى لا مندوحة عنه ، فانه يشملها من وجهها ليلا عندأقوام ونهاراً عند آخرين ، وأن نهاية الكون لا تأتى نتيجة خطأ أو مصادفة بل هى مرهونة بتوقيت إلهى ، و حكمة عليا ، (لكل أجل كتاب) . و لذلك علامتان — الاولى : التقدم العلمى بين سكان الأرض حتى يظنوا أنهم قادرون عليها و يكاد يتحقق هذا الأمر بتقدم العلم و سيطرته مما يجعل العلماء على الظن بقدرتهم عليها ، و الثانية : أن تأخذ الأرض زخرفها و زينتها ، و ذلك بجريان المياه خلالها أنهاراً و جداول ، مما يؤدى إلى اخضرار فلواتها و صحراواتها و سيادة العمران على كل بقاعها ،

و فى أرض الجزيرة و ما حولها من الثروات ما يمكن معه أن تتحول الصحارى و القفار — لا سيما فى غرب آسيا و إفريقيا — إلى جنات زاهرات عامرات بكل سمات المدنية و الحضارة و سيتم هذا العمران و الازدهار للأرض بفضل الانتفاع بالطاقات العلمية و هو ما يشير إليه حديث الرسول صلوات الله و سلامه عليه — فيما معناه (لا تقوم الساعة حتى تصبح الجزيرة أنهاراً و رياضاً) و لا بد أن يتحقق هذان الأمران قبل مجئ أمر الله فى اقتراب الوعد الحق على أن فى الانفجار السكانى بالعالم — ما يوحى بأن معاد الساعة قد اقترب ، و فى التقارير العلمية و الرياضية — ما يحمل على الاعتقاد بأن سكان العالم سيصل بعد نصف قرن من الزمان إلى بضعة عشر بليوناً من الأنفس ... على أن الأرض مهما ازدهرت و ازدادت أقواتها فلا بد و أن تضيق بسكانها يوماً ما . و الظاهر - مما تقدم - أن أمر الله سيأتى قبل ذلك ، و هو سبحانه ولى العلم و التوفيق .

من هو ذو القرنين :

و يظهر مما تقدم أن (ذو القرنين) كان صاحب رسالة لا يقوى على أدائها أقوى جيوش العالم عدداً و تسليحاً بما حباه الله من طاقات علمية ، و قد رحل إلى الغرب و قضى على جزيرة الأطلانتس حينما أترف سكانها و بغوا و ظلموا و أصبحوا يشكلون خطراً على الأرض ، كعلماء الذرة اليوم لو دب الفساد فيهم أو خرج الأمر من أيديهم ثم رحل إلى الشرق دون أن يصل إلينا ما صنعه بسكانه ، ثم رحل إلى الشمال و أقام الردم العظيم الذى سجن بداخله هذه المخلوقات الضارة إلى ما شاء الله ، وحمى به الأرض و سكانها من شرورهم .

الخطر الأصفر :

و لعل فى السكوت عن ذكر مهمة ذى القرنين فى الشرق — ما يبعث على البحث و دراسة ظروف المنطقة ، و من المعروف سلفاً أنها منطقة كثيفة السكان ، و أنه كان بها سور ضخم يقال إنه من عمل (ذو القرنين) و إذا كانت الكثافة الصفراء مدعاة للرهبة و الرجفة منها ، فهى فى الوقت نفسه سد ضخم فى وجه الأطماع التوسعية فى أمم أخرى لها لون آخر من ألوان الرهبة و التخويف مصداقاً لقوله سبحانه : (و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) الآية (٢٥١) من سورة البقرة ، ثم لعل السكوت عن مهمة (ذى القرنين) فى الشرق قصد به إثارة التساؤل والنظر إلى المنطقة بعين الحذر و التروى و الأناة ، و قد أشار الرسول ﷺ إلى خطورة هذه المنطقة و ما عساه يقع فيها ، بما جاء فى معنى حديثه الشريف : (ويل للعرب من شر قد اقترب يعاهدكم بنو الأصفر فيغدرون فيأتوكم عن ثمانين آية على كل آية اثنا عشر الفاً) و لعل ذلك يكون طمعاً فى خيرات أرض العرب ثراءاً وسعة و موقعاً ، و لعل المقصود من الآية السفينة الضخمة بأن آية الشئ مثله الأعلى و معجزته و لا شك أن سفينة يتسع فضاؤها لاثنى عشر ألفاً من البشر لا تكون إلا آية بين السفن ، و فى كتاب الله بضع آيات تصف السفينة (بالآية) و منها قوله سبحانه : (و آية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) الآية (٤١) من سورة يس ، و فى حديث الرسول ما يدعو إلى الحرص و اليقظة من قدوم هذه السفينة الكبيرة ... تحمل هذه الجحافل الرهيبة الزاحفة إلى أرض العرب ، و لا يستبعد كذلك أن تكون الآيات جزراً صناعية عائمة متحركة ، تدفعهم إلى تكوينها - شدة

الانفجار السكانى يوماً ما ، و بثها فى المحيطين الهادى و الهندى ، محملة بالأزواد و المصانع المختلفة ، مزودة بالتربة الصالحة للزراعة ، تقدم لهم ما يحتاجون ، حتى يتم لهم بواسطتها ما يهدفون إليه من استغلال المحيطات و الوصول إلى أرض جديدة ، لا سيما فى أستراليا و غرب آسيا و أفريقيا — إنقاذاً لحياتهم من غوائل الموت جوعا و وباءاً و اختناقا .

المنطقة الجنوبية :

و قد يتساءل المرء ... لماذا لم يذهب ذوالقرنين إلى المنجمد الجنوبى ، و يكفى أن نقول بأنها منطقة جرداء من كل حى أو ديار ، و ليس بها أخطار تهدد الأرض و سكانها ، على أننا نرى أن فى الجنوب الشرقى ظاهرة عجيبة تتمثل فى أن الصين وما حولها من جزر و قارة أستراليا لم تأخذ الطابع الذى تحمله جنوب أمريكا و جنوب أفريقيا و شبه القارة الهندية - على شكل كمثرى فى الانسياب نحو الجنوب ، مع أنها لو جمعت وحداتها متلاصقة متناسقة فيما بينها على - خريطة واحدة - لأخذت نفس الطابع الانسيابى مما يشبه قارة أفريقيا مثلا و لعل ذلك لكثرة البراكين فى قاع المحيط الهادى و جزره و شواطئه أو لأسباب تتصل بسر هذه المنطقة ، و قد قضى الله على هذه المجموعة بالتمزق على الوضع الذى تعيشه الآن و تحيا عليه - رحمة بالعالم ، إذ لو قدر لهذه المنطقة أن تلتقى أرضاً ، فلربما سيطر عليها الجنس الأصفر و تضخم تكتله السكانى فيها و فقد العالم بسبب ذلك توازنه .

على أننا لا ندرى أكان هذا التفكك على الصورة التى هى عليها الآن - من مهام ذى القرنين تلافيا لخطورة التقائها و تجمعها وهى خطورة تتفاقم بمرور الزمن وتزداد ، أو كان ذلك لأسباب طبيعية قبل ذلك التاريخ - رحمة من الله

سبحانه بالبشرية .

لم يكن ذوالقرنين مجرد فاتح :

يتبين مما تقدم أن «ذوالقرنين» كان شخصية فذة فى قدرتها وعلمها و حديثها و صمتها ، و لقد وهبه الله أسباب العلم و القوة فأتبع أسباب السماء بأسباب من جده و عزمته ، و نشاطه و همته فأدى رسالته و نفذ ما أمر به على خير الوجوه و أتمها ، و لا يفوتنا فى هذا المقام أن نؤكد بأن (ذوالقرنين) موضوع هذه الرسالة ، غير الاسكندر المقدونى الذى كان يحمل نفس اللقب فالأول له رسالته الاصلاحية العالمية ، و إن ما كان به من جسام الأمور كان بطاقات علمية خارقة وهبها الله له و بعثه لتحقيقها إنقاذاً للعالم ، و أما الثانى : فكان قائد جيوش ضخمة فتح بها الأمصار وأراق فى طريقها الدماء . إطفاءاً لشهوة الفتح و التحكم ، تعوزه رسالة الاصلاح السلم و الايمـــان القويم ، ونستطيع القول بأن (ذوالقرنين) قد قام فى جولاته المتقدمة بدور الوسيط المهيمن ، و الحكم العدل فيما بين الأخيار و الأشرار و اليمين و اليسار ، الأمر الذى لابد منه فى كل مجتمع ، كما سيأتى :-

القاعدة الثلاثية و التوازن العالمى و انتصارالحق :

لقد تقدم فى المقال (٨) من هذه السلسلة عن ثلاثية الفيلسوف الألمانى هيجل و ثنائية تلميذه كارل ماركس ، و ذلك بانضمام الدولة إلى أصحاب العمل بدلا من أن تكون جانباً ثالثاً محايداً بين العمال و أصحاب العمل ، حتى يمكن أن تلزم كل جانب بواجبه ، و توقفه عند حدوده ، إقامة للعدل و سلامة للانتاج .

إن ثلاثية السلب و الايجاب و الحياد - تشمل مادة الخلق كله ممثلة فى

كمهارب الذرة المكونة من بروتونات إيجابية ، و إلكترونات سلبية و نيوترونات حيادية ، و كذلك العقائد المذهبية تتكون من وسط و يمين ويسار ، الأمر الذى اعتقد أنه منهج طبيعى بشرط الاخلاص التام و التعاون فى الخير و التواصى بالحق ، فى قيادة إيجابية تستأنس و تستنير بآراء الجهات الثلاث بعناية ووفاء ثم تستخلص منها رأياً سديداً و تعلنه - امتثالا لأمره سبحانه فى الآية ١٥٩ من سورة آل عمران . قال سبحانه : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الأمر ، فاذاعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

و من واجب الفئات الثلاث - أن تنظر بعين المصلحة العامة البناءة إلى ما تقرره القيادة فان رأت ما يدعو إلى التذكير به أو التنويه عنه قالت رأيها مخلصة فى أدب جم واحترام وقور ، و على أولياء الأمر الترحيب بكل ما هو مفيد و بناء و نافع للجموع . . . على أن من واجب هذه الفئات ألا تنسى بعد ذلك أن لأولى الأمر فى أعناقهم حق السمع و الطاعة امتثالا لقوله سبحانه : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير و أحسن تأويلا) الآية ٥٩ من سورة النساء، وقد جاء عن المصطفى (ﷺ) : (لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق) .

و من التوفيق أن أرى مصر تطبق مثل ذلك ، بتكوين ثلاثة منابر (وسط و يمين و يسار) فنرجو أن يكون الاخلاص التام رائداً و الحكمة ضالة و سبيلا ، والمصلحة العامة هدفاً لكل من يعتلى هذه المنابر حتى يكونوا فى تعاونهم و انتظامهم حول قيادتهم كصفوف المصلين خلف الامام إذ تتابعه

الصفوف وسطها و يمينها و يسارها فى قيامه و ركوعه و سجوده ، ما لم يسه عن الترتيب الوارد فعند ذلك يقول المأمومون (سبحان الله) فيعدل الامام عن سهوه ثم تختم الصلاة بسجدتين للسهو .)

فاذا حاول جماعة أو فرد إحداث خلل فى الصفوف لمصلحة شخصية أو شهرة عالمية أو اعتزازات عنصرية أو إثارة فتنة بين المجموعة المتعاونة يكون نصيبه نصيب كل نأتى عن الصف خارج عن الجماعة ألا و هو الطرد كما طرد الشيطان من الملأ الأعلى عند ما اعتز بعنصره النارى على الانسان الوسط . فاذا استشرى الخلاف و دب الفساد فى الصف وجب الرجوع إلى الآية (١٤) من ختام سورة الصف امتثالا لأمر الله سبحانه فى اتباع سنة المسيح مع قومه عند ما أحس منهم الكفر حيث يقول جل شأنه (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) . (١)

على أن القاعدة الثلاثية لا تتقيد بالمنابر الثلاثة ، فقد تقع الثلاثية فى كل صف على حدة فيصبح لليمين وسط ويمين ويسار بالنسبة للصف ، و لليمين والوسط كذلك . و هذا لا يغير كثيراً من موازين المنابر الثلاثة و أهميتها و وضعها و وظيفتها ككل صف يبدأ من الوسط خلف الامام (٢) فيمنة الصف

(١) و فى هجرة الرسول (ﷺ) شكل من أشكال العزل ، و عند ما قويت الدعوة و قامت الدولة وجب إعلان الدفاع عنها ، و الجهاد فى سبيل الله ، و كان باكورة ذلك غزوة بدر الكبرى .

(٢) و ينبغى أن يكون أولو العلم و الفضل فى وسط خلف الامام لقوله ﷺ (ليلينى منكم أولو الأحلام و النهى)

و ميسرته ، و إنما المهم أن تكون الميمنة للوسط المعتدل بين اليمين واليسار وبين العمال وأصحاب العمل وبين الأغنياء والفقراء ، وفى الوسط والقمة ماهو فوق الرهبنة (٣) المتطرفة نحو اليمين فى مختلف الأديان كالبوذية و البرهمية و المانوية الدخيلة على الاسلام و المسيحية و ما هو فوق اليسارية المتطرفة نحو اليسار كذلك ، وقد صورت قصة آدم ذلك كله فى كتاب الله حيث كان أبو البشر فى مكان الوسط بين اليمين الايجابى الكريم ممثلا فى ملائكة الله الكرام ، و بين اليسار السلبى الرجيم ممثلا فى صلف الشيطان و اعتزازه و كبريائه فكان لزاماً على الملائكة الأبرار أن تدعو للذين آمنوا بحمايتهم من الشيطان - و توفيقهم لخيرى الدنيا والآخرة ، و تجل الانسان الوسط معترفة بفضله عليها علماً و تفكيراً و راحت تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع كما سجدت لأبيه آدم من قبل اعترافاً بمكانته و علمه الذى فضل به عليها ، كما يقوم الشيطان وأتباعه من جن و إنس بدورهم السلبى عن طريق الاغراء واستغلال الغرائز ، و مواطن الضعف عند الانسان الفطرى ، و لعل فى استعداد الانسان لاستقبال تيارى اليمين و اليسار و الايجاب والسلب - ما يؤهل الانسان الأمثل لمركز القمة و الوسط .

كما أننا نرى العالم اليوم يزحف نحو تكتل ثلاثى (يمين و يسار ووسط) و أنه لمما يدعم وجودنا أن يكون التجمع الدينى عند أهل الكتب المقدسة هو الوسط و القمة فى العالم ، وذلك بتعاون المؤمنين بالله على تنفيذ ما أمر به فى جميع كتبه - من التوحيد و الاخلاص و الأمانة و الأمر بكل معروف و النهى عن كل ما ينكره المعروف و يأباه الذوق السليم ، و مما لاشك فيه أن تعاونهم على الخير و تحابهم على تحقيق الصالح المشترك يجعل فى القمة والوسط ، هذا هو المكان الصحيح الذى يريده الله لعباده فى الدنيا والآخرة ،

(٣) لا رهبانية فى الاسلام .

مصداقاً لقوله سبحانه فى خاتم كتبه المقدسة : « و كنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، و السابقون السابقون أولئك المقربون » الآية (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من سورة الواقعة)

و قوله جل شأنه : (و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً) الآية (١٤٣) من سورة البقرة ، وقوله سبحانه : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله) .

نعم إن فى تجمع أهل الأديان السماوية فى القمة و الوسط نصر الله و إعلاء لكلمته ، و خذلاناً لكل إلحاد و إفساد ، يستهدف القضاء على المؤمنين بالله جميعاً و هدم أماكن العبادة دون تفريق بين العقائد السماوية مصداقاً لقوله سبحانه : (و لو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) و إذا كان الواقع يحتم على الجانب غير الدينى فى العالم التجمع حول اليسار السلبى - فانه يتحتم على المؤمنين بالله أن يتسنموا جانبى الوسط و اليمين معاً و أن يتعاون الجانبان لدرء الخطر المحدق بهم ، و إنى أهيب بالمؤمنين ألا يتشبثوا باليمين وحده ، حتى لا يتبوأ أعداء الأديان موقعى اليسار و الوسط معاً ، فيحتل فراغ المركز الوسط غير أهله لاسمح الله ، علماً بأن مركز الوسط المهيمن لما يزل فارغاً منذ فترة ليست بالقصيرة (و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون) .

و ما أجدرنا أن نلبى النداء القرآنى العظيم : « قل يا أهل الكتاب تعالو إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . . » الآية (٦٤) من سورة آل عمران .

التعليم فى المملكة العربية السعودية

طرق الاستفادة منه ، و ضرورة إزالة العقبات عن سبيله

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

هذا المقال الضافى وضعه سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى على طلب من اللجنة التنفيذية للمؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة ابتداء من ٣١ مارس ١٩٧٧ م ، وجرى له البحث فى المؤتمر فى ٦ أبريل ١٩٧٧ م ، ونتحفه إلى قرائنا الكرام نظراً إلى قيمة المقال و موضوعيته » « التحرير » .

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و أصحابه أجمعين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أيها السادة ! إننى قبل أن أتحدث إليكم فى هذا الموضوع الذى اختارته لى اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر التعليمى الكريم ، المنعقد فى مكة المكرمة ، أريد أن لا يفوتنى فى هذه المناسبة الكريمة ، أن أبدى إعجابى و إكبارى لهذه الثقة الغالية ، التى أولتنى بها جامعة الملك عبد العزيز ، و لهذه النظرة الواسعة التى ينظر بها أولياء الأمر ، و قادة الفكر فى هذه البلاد المقدسة إلى أفراد الأسرة المسلمة الواسعة ، المنتشرة فى العالم الاسلامى ، و لهذه النظرة الواسعة التى ينظرون بها إلى قضية التعليم و التربية فى مركز الاسلام ، و مصدر الاشعاع الاسلامى ، وقد دل ذلك على أنهم لا ينظرون إلى هذا البلد نظرة جغرافية ، قومية محدودة ، و لا ينظرون إلى قضية التعليم و التربية فيها ، كقضية محلية إقليمية ، و لا ينظرون إلى مسلم ، مهما كانت جنسيته أو وطنيته ، طفيلياً ، فى الحديث عن موضوع دقيق حساس ، كموضوع سياسة التربية و التعليم ومناهجها فى المملكة العربية السعودية .

إنها روح التسامح و المساواة ، التى تعرف بها العالم ، عند ظهور الاسلام فى هـــذا البلد ، و إنها الروح العلمية المجردة عن كل عصبية و هوى ، التى اتسمت بها النهضـة العلمية المباركة ، التى قادها العرب المسلمون فى فجر التاريخ الاسلامى ، فكانت انتفاضة علمية عقلية جديدة ، بعثت روح العلم و البحث فى كل مكان ، و أزالت عن العلم احتكار المحتكرين و جعلته حقاً مشاعاً ، وثروة مشتركة للعالمين .

أيها السادة ! كما يعلم الاخوان الذين قرأوا كتاباتى فى موضوع التربيـــة الاسلامية فى الأقطار الاسلامية عامـــة ، و فى الجزيرة العربية خاصة . أننى من المؤمنين بأن نظام التربية لباس يجب أن يفصل على قامة البلد ، أو الأمة التى يراد تربية أبنائها وشبابها ، و على ملامحها الخاصـة ، و عقائدها العزيزة ، و آدابها المفضلة ، و أهدافها التى تعيش لها و تموت فى سبيلها ، إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها ، و بيئتها التى تعيش فيها ، و الآداب و العادات التى تحتضنها و التاريخ الذى تغار عليه ، و القيم و المثل العليا التى تعشقها و تتغنى بها ، و أن سياسة التعليم ، أو المناهج التربوية ليست بضاعـة تستورد من بلد إلى بلد و من أمة إلى أمة ، أو شجرة تقتلع من أرض ، و تغرس فى أرض أخرى ، و أنه عمل ليس غير طبيعى فحسب ، بل هو أشبه بقتل شخصية الأمة ، و إبادة معنوية لها ، و قد استشهدت فى بعض كتاباتى بكلمة الأستاذ الأمريكى الدكتور (Dr . J . B . Conant) فى كتابه « التربيـــة و الحرية » (Education And Liberty) .

« إن عملية التربية ليست تعاطياً ، و لا عملية بيع و شراء ، و ليست بضاعـة تصدر إلى الخارج ، أو تستورد إلى الداخل ، إنها فى فترات من

التاريخ ، خسرنا أكثر مما ربحنا ، باستيراد نظرية التعليم الانجليزية ، أو الأوربية إلى بلادنا الأمريكية » .

ونقلت كذلك قول أحد أئمة التربية فى العهد الحاضر Sir Percy Neinn الذى يقول فيـه : « إن أفضل تفسير لنظام التربيـــة هى أنها السعى الحثيث المتواصل يقوم به الآباء و المربون لانشاء أبنائهم ، على الايمان بالعقيـدة التى يؤمنون بها ، و النظرة التى ينظرون بها إلى الحياة و الكون ، و تربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذى ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم ، مع الصلاحية الكافية للتقدم ، و التوسع فى هذه الثروة (١) » .

و إننى كـذلـك أؤمن بأن الشعب العربى المسلم الذى يسكن فى هـــذه البلاد المقـدسة و الذى أراد الله به أن يكون مصدر إيمان و ثقة بصلاحيـة الاسلام و خلوده للشعوب الاسلامية جميعاً ، ومركز شحن للكشاف الاسلامى بشحنة جديدة كلما احتاج إليه ، له أشرف قامـة و أكبر قيمة ، و أنه يجب أن يكون - إذا قيست القامات بالطول والقصر - عملاقا يسمو على كل طويل فارع القامة ، و أن يكون عنقاء أكبر من أن تصاد أو تساوم ، لا تطمع فى شرائه المعسكرات السياسية ، و الفلسفات الأجنبية ، إذا كانت هنالك قضيـة القيم و الأثمان ، و إذا كانت الشعوب و المجموعات البشرية تقوم و تساوم .

إننى مع هذا الايمان العميق ، و الدعوة الصارخة إليه ، إذا استعرضت سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية مطبوعـــة منشورة فى نشرات وزارة المعارف و معلناً بها ، لا أجد فيها مأخذاً أحاسبها عليه ، كمسلم له حق المحاسبة و السؤال على هذه البلاد ، إنها سياسة إسلامية فنية رشيدة ، وضعها واضعوها

(١) مقالة التربية فى دائرة المعارف البريطانية Education .

بمقدرة و لباقة ، و فى وضوح و صراحة .

إنها جعلت « منطلق التربية و التعليم مبنياً على أساس سليم موضوع من خالق الكون العالم بقدرات عباده و أحوالهم ، بعيداً عن الأسس و المبادئ التى توصل إليها الانسان بالتجربة ، لأنها عرضة لتأثير الظروف والبيئات » .

إنها فى الحقيقة نظرة تختلف عن نظرات قادة التعليم والتربية فى الغرب ، و فى البلاد الشيوعية و العلمانية اختلافاً جوهرياً و مبدئياً ، و تحول تيار التعليم كله من المادية إلى الايمان ، و المعرفة الصحيحة .

ثم إنها تعلن فى صراحة و اعتزاز أن « المملكة العربية السعودية التى تؤمن بأهمية التعليم و دوره فى بناء المجتمعات المتطورة ، لم يكن لها فى يوم من الأيام منطلق فى التربية و التعليم غير دينها الاسلامى الحنيف ، بنت عليه مناهجها ، و كتب التعليم فيها ، و بنت سياستها التعليمية على أسس و مبادئ نابعة من الاسلام ، الذى تدين به عقيدة و عبادة ، و خلقاً و شريعة ، وحكما و نظاماً متكاملا فى الحياة ، و هى جزء أساسى من السياسة العامة للدولة »

و أى ميثاق أوضح من هذا الميثاق التعليمى ؟ !

ثم بينت هذه النشرة المؤمنة الأسس العامة التى يقوم عليها التعليم فى المملكة ، وكلها أسس إسلامية سليمة ، لا تقبل نقاشاً ، و لا تثير شكا ، منها « أن الرسالة المحمدية هى المنهج الأقوم للحياة الفاضلة ، التى تحقق السعادة لبنى الانسان ، و تنقذ البشرية مما تردت فيه من شقاء و فساد » و منها « المثل العليا التى جاء بها الاسلام لقيام حضارة إنسانية رشيدة بناءة تهتدى برسالة محمد ﷺ لتحقيق العزة فى الدنيا و السعادة فى الآخرة ».

و من هذه الأسس التى يقوم عليها التعليم فى المملكة :

« توجيه العلوم و المعارف بمختلف أنواعها و موادها وجهة إسلامية فى معالجة القضايا و الحكم على النظريات ، و طرق استثمارها ، حتى تكون متناسقة مع التفكير الاسلامى السديد » .

« و الثقة الكاملة بمقومات الأمة الاسلامية ، و أنها خير أمة أخرجت للناس ، والايمان بوحدتها على اختلاف أجناسها وألوانها ، وتباين ديارها » .

ولم يفت هذا الميثاق التعليمى العظيم أن يضغط على الارتباط الوثيق بتاريخ الأمة الاسلامية ، و حضارة دينها الاسلامى ، و الافادة من سير أسلاف الأمة ، ليكون ذلك نبراساً للشباب المتعلمين فى حاضرهم و مستقبلهم ، ، و قد نص هذا الميثاق أخيراً على أن « شخصية المملكة العربية السعودية متميزة بما خصها الله به من حراسة مقدسات الاسلام و حفاظها على مهبط الوحى ، و اتخاذها الاسلام عقيدة و عبادة ، و شريعة و دستور حياة » .

و هل يستطيع مسلم غيور على دينه و رسالته ، عارف بقيمته وقامته ، شاعر بمسؤليته و واجباته ، أن يقول أكثر من هذا ، أو أن يضع سياسة للتعليم فى بلد إسلامى أحسن من هذه السياسة ؟ ! .

ثم إنه ذكر من أهداف التعليم فى المملكة « تنمية روح الولاء لشريعة الاسلام ، و ذلك بالبراءة من كل نظام أو مبدأ ، يخالف هذه الشريعة ، و استقامة الأعمال ، و التصرفات وفق أحكامها العامة الشاملة ، ثم تزويد الفرد بالأفكار و المشاعر ، و القدرات اللازمة لحمل رسالة الاسلام ، وتحقيق الخلق القرآنى فى المسلم ، و التأكيد على الضوابط الخلقية لاستعمال المعرفة ، و تبصير الطلاب بما لوطنهم من أمجاد إسلامية ، و حضارة عالمية إنسانية عريقة ، ومزايا جغرافية وطبيعية و اقتصادية ، وبما لمكانته من أهمية بين أمم

الدنيا » و يتقدم هذا الميثاق خطوة أخرى جريئة ، فيوصى بالتأكيد على « الناحية الروحية الاسلامية بحيث تكون هى الموجه الأول للسلوك الخاص والعام للفرد و المجتمع (١) » .

أما المناهج و المقررات الدراسية ، فالحديث عنها يطول و يتشعب ، و هى خاضعة دائماً لسياسة التعليم و التربية فى البلاد ، و فيها استعداد دائم للتطوير و الترقية ، والتعديل ، و وزارة المعارف فى المملكة ، و اللجان المختصة بالمناهج و المقررات الدراسية واسعة الصدر دائماً لما يقدم إليها من ملاحظات و آراء ، و قد كان لكاتب هذه السطور مساهمة ضئيلة فى إبداء الرأى عن هذه المناهج و بعض التجارب التعليمية ، بطلب من الوزير العالم معالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالى للمملكة ، و قد نص القانون على « أن العلوم الدينية أساسية فى جميع سنوات التعليم الابتدائى والمتوسط ، و الثانوى ، و الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع سنوات التعليم العالى » و قد ذكر أن « الدعوة إلى الاسلام فى مشارق الأرض و مغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة من واجبات الدولة و الأفراد هداية للعالمين و إخراجاً لهم من الظلمات إلى النور » فلا أريد أن أشغل قسطاً كبيراً من وقت هذا المؤتمر المحدود فى ذكر الجزئيات و التفاصيل عن هذه المناهج التى لا يأتى عليها الحصر .

و أريد أن أركز البحث على ماله صلة وثيقة بواقع الحياة و المجتمع المعاصر فى هذه البلاد ، و مدى تأثير الجهود التربوية التعليمية الجبارة ، التى تقوم بها هذه المملكة العزيزة الغنية ، و تنفق عليها بسخاء و همة ، لا يوجد

(١) العبارات التى بين الهلالين مقتبسة نصاً و حرفاً من « سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية » .

لها نظير فى الأقطار الاسلامية ، فى ميول هذا المجتمع و اتجاهاته ، و أخلاقه و تصرفاته ، و درئه من الأخطار ، التى هى شديدة الخطورة فى كل بلد ، و هى أشد خطورة و خطراً فى هذا البلد الذى هو مأرز الاسلام ، ومعقل الايمان ، ومدى تمثيل الشاب المثقف للقيم والمثل الاسلامية العليا ، و وفائه لرسالة الاسلام ، و أهدافها حين عم الكران ، وما مدى تمسك هذا الشاب بالضوابط الخلقية ، و التعاليم الاسلامية السامية فى معترك الايمان و الكفر ، و الفضيلة و الرذيلة ، و المنفعة العاجلة و المنفعة الآجلة ، والمصلحة الفردية و المصلحة الاجتماعية ؟ ؟

إن كثيراً من رجال التعليم و التربية فى الشرق والغرب أيها السادة ! اعتادوا قديماً وحديثاً أن يبحثوا فى قضية التعليم و التربية ، كقضية منفصلة عن الحياة و المجتمع ، ليست بينهما صلة إلا الصلة المؤقتة العارضة ، كأن التعليم قنطرة يعبر بها الانسان نهراً من الأنهار ، و يصل من بر إلى بر ، ثم يعود إلى موطنه الأول بنفس السيرة و النفسية ، والخلق والفكرة ، والتعليم عندهم حاجة من حاجات البشر يقضيها الانسان ثم يعود إلى بيته ، كما يعود من السوق و من المزرعة ، بل من ميدان الحرب ، فلا يحكمون على نجاح التعليم و إخفاقه إلا بالمعلومات التى تلقنها الرجل المثقف و وعاها ، و بالأرقام التى حصلها فى الاختبارات ، والشهادة التى يحملها ، و اللباقة التى يتكلم بها ، و الأناقة التى يعيش بها ، و لا يقيسون نجاح عملية التعليم و التربية بمقاييس عملية واقعية اجتماعية ، وقد صار كثير من هواة التعليم يقيسون رقى بلد ، ويحكمون على نهضته و مستواه الحضارى ، بعدد الجامعات الموجودة فى هذا البلد و إن كانت غير مؤثرة فى حياة البلاد مطلقاً . تعيش فيها كقنصليات أجنبية ،

وسفارات خارجية لا تؤثر فى الشعب و قد تكون هذه الجامعات عاملا قوياً من عوامل التقويض الاجتماعى ، و الفوضى الخلقيـة و الفكرية و قد تكون أوكار الفسـاد و الانحـلال و القلق و التـذمر و التعطل و البطالة ، و يكون المتعلمون فيها ، أو المتخرجون منها فى طليعة دعاة الافساد ، و الاضطراب ، كما هو الشأن فى كثير من البلاد الشرقيه ، الآسيوية و الافريقية .

إنهـا نظرة تقليدية غير واعية يجب أن تتطور و تتغير ، و لنكن نحن المسلمين - و فى مقدمتهم قادة الفكر وعلماء التربية - رواد الحقيقة ، مقررين للواقع ، قوامين بالقسط ، شهداء لله ، غير مسترسلين إلى الخيال ، و المعانى الشعرية ، و النظريات التقليدية ، فلنستعرض واقعنـا ، و لنقارن كتـاجر جاد مخلص بين ربحنا و خسارتنا ، و بين المسافة التى قطعناها و المسافـة التى يجب علينا أن نقطعها و بين المنجزات و المعطيات ، و بين المشاريع و المخططـات و أن هذا البلد الكريم ، و هذا المؤتمر العظيم ، هو خير مكان لهذا الاستعراض المنصف ، و المقارنة الدقيقة الأمينة ، و أعتبر ذلك قيمة اجتماعنا من أمكنة بعيدة ، و الجهود التى تستحق كل تقدير و احترام ، لاعداد الجو المنـاسب الهادىء للبحوث القيمة فى موضوع التعليم و التربية فى الأقطار الاسلامية عامة و فى هذه المملكة العزيزة خاصة .

و قبل أن نستعرض واقعنا كمعلمين و كممثلين للتعليم فى مختلف مراحله ومجالاته يجب علينـا أن نستحضر ما تتمتع به هذه البلاد من سمـات ومزايا ، و شخصية متميزة ، يجب علينا أن نأخذها بعين الاعتبار قبل أن نبحث فى نتائج الجهود التعليمية و معطياتها فى هذه البلاد المقدسة ، إنها سمات و مزايا تيسر مهمة التعليم الاسلامى الهادف فى هذه البلاد وتساعد على تحقيق أهدافها

السامية ومثلها العليا .

إن هذه البلاد هى المختبر الأول للتعاليم الاسلامية ، و الدعوة الاسلامية و على هـــذه الأرض الطيبة تمثلت أروع رواية من روايات الصدق والاخلاص ، والوفاء و الفداء ، و الفتوة و البطولة ، التى شهدها التاريخ ، فهى صفحة منشورة ، كتب كل سطر من سطورها من نور ، و يلقى على كل من يعيش فيها و يزورها دروساً فى العقيدة والخلق والسيرة ، ويجسم التاريخ الاسلامى بحيث يفهمه كل إنسان ، و يراه رأى العين ، أن الجامعات الغربية الشهيرة ، و المراكز الثقافية الكبيرة تلجأ لغرس المعانى و الحقائق التى تعلمها ، و لتقريب البعيد ، و إيضاح الغامض ، و إعادة المناظر التاريخية ، و الحضارات القديمة و تجسيمها ، إلى مسرحيات و تمثيليات ، و إلى رحلات و جولات فى فى الآثار القديمة ، و المدن العتيقة ، و إلى مخيمات و مهرجانات ، يقضى فيها الطـالب وقتاً محدوداً فى جو تاريخى ، أو حضارى خاص ، تحلق عليـه روح تختلف عن الروح العصرية و يستنشقون نسائم العهد القديم ، و كلها محاولات صناعية ، بعيدة عن الحقيقة .

أما الطالب الذى يعيش فى هذه الجزيرة ، فانه يستحضر هذه المعانى كلها ، و يعيش فيها ، فكل ذرة من ذرات هذه الصحراء و كل جبل من جبال هذه الجزيرة ، يذكره بحادث من حوادث التاريخ الاسلامى الأول ، و يذكر بمـا قامت له هذه الجزيرة و عاشت ، و بما أريق فى سبيله من الدماء الزكية ، و بمـا كانت عليه فى الجاهلية من جهل و فقر و خمول ، و بما عادت إليه بعد الاسلام من علم و غنى و عز ، و بمن يرجع إليه الفضل فى ذلك ،

و ما هو مصدر هـــذا الانقلاب ، و التحول الذى ليس له نظير فى تاريخ الانسان .

ثم إن هذه البلاد جعلها الله مركزاً للحج ، و له روحانيته ، و تأثيره فى النفوس والقلوب ، و يجتمع فيه أكبر عدد يجتمع فى أى مكان فى العالم ، من أهل القلوب المؤمنة ، و النفوس الصافية ، و الأرواح الملتهبة ، الذين ساقهم الايمان و الحنان ، و حب مركز الاسلام و مهبط الوحى ، يتهافتون عليه كالفراش على النور ، و الظماء على الماء ، يتمنون أن يمشوا إليـــه على أهدابهـــم ، و يستهينون فى سبيل ذلك بكل غال ، و يستعذبون المشـاق ، فيتكهرب هذا الجو بالايمان و الحنان ، و يسرى تياره إلى النفوس الخامدة ، و الجدران و الأخشاب الجامدة ، فهل هنالك مدرسة أقوى من هذه المدرسة الايمانيـة ، و أقدر على أداء رسالة العلم و الأخلاق ، و شحن النفوس بقوة جديدة تتغلب على التيارات المادية ، و الاتجاهات العصرية ؟ ! .

ثم إن اللغـــة التى تسود فى هذه البلاد هى اللغة العربية التى نزل فيها القرآن ، و نطق بها الرسول ، و القرآن يتلى فى كل مكان ، و الأذان يعلو و يدوى فى كل ناحية ، ولا يوجد فى هذه الجزيرة - و الحمد لله - دينان ، إنما يحكمها و يعيش فيها دين واحد ، هو الدين الاسلامى الحنيف ، ثم أكرم الله هذه الجزيرة أخيراً بأن وفق حكومتها - المملكة العربية السعودية حرسها الله - لرفع شعـار الاسلام ، و تحكيم الشريعة ، و تنفيذ الحدود ، والقوانين الشرعية ، و قد قامت على أساس الدعوة ، و على التوحيد و السنة ، و اتباع السلف الصالح ، فكان كل ذلك عوناً على تهيئة الجو الملائم لنشوء الفرد المسلم ، الصالح الواعى ، و تيسير مهمة التعليم و التربية فى هذه البلاد ، وتذليل العقبات

التى تعترض فى سبيلها ، و إزالة جميع العوائق التى تواجهها البلاد غير الاسلامية ، أو البلاد التى امتحن فيها الاسلام و المسلمون بقيادات محاربة للاسلام ، أو منافقة مضطربة ، أو ضعيفة الثقة بصلاحية الاسلام فى هذا العصر .

هنا نقف وقفة قصيرة أيها السادة ! و نقول كان من المعقول المنتظر ، بل من المفروض المؤكد ، أن يكون الشاب المثقف فى هذه البلاد شاباً مثالياً ، فى استقامة الخلق ، و حسن السلوك و التماسك أمام المغريات ، و التمرد على الشهوات ، و فى قوة النفس و الارادة ، و الصبر على المكاره و المشاق ، و الدأب على العمل ، والتسامى على مواضع الضعف ، والتضحية فى سبيل راحـــة الوافدين إلى بيت الله ، لا يكون أقل من اجتهاد قريش فى رفادة الحجاج ، و حسن وفادتهم ، قبل الاسلام ، و أن يكون الرجل المثقف بقدر ثقافته أكثر تحلياً بهذه الأخلاق من مواطن لم تقدر له هذه الثقافة ، و كل من علا كعبه فى العلم و الثقافة كان خليقاً بأن يقوم على القمة من هـــذه الأخلاق ، لأنه نشأ فى أحضان ثقافة إسلامية هادفة مؤمنة ، خططت تخطيطاً دقيقاً أميناً ، و أنفقت عليها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، و جند لها أفواج من المعلمين و المربين ، و اختير لها خيار الأساتذة و الموجهين ، و قامت هذه المدارس تحت ظلال الكعبة و فى رحاب المسجد النبوى ، و فى حجر الاسلام و مهده .

إن نتيجة الجهود التعليمية التى تبذلها المملكة و وزارة المعارف المؤقرة ، نتيجة ذات قيمة لا ينكرها عاقل منصف ، قد عرف هذه البلاد فى ماضيها و حاضرها ، و عرف ما كانت عليه هذه البلاد من أمية فاشية ، و فقر فى المدارس ومراكز التعليم حتى التعليم البدائى ، وبعد البادية العربية عن المبادئ الأولى

للعلم ، و للاسلام ، و للانسانية و ما سببه الجهل لتعاليم الاسلام ، والانطواء على النفس و البادية ، من عادات همجية و استهانة بحياة الانسان ، بل بحياة المسلم ، و الجراءة على سفك الدماء و نهب الأموال ، وقلة الوسائل للاتصال بالعالم الخارجى و غيبة مظاهر الثقافة الأولى ، فاذا قارنا بين الماضى القريب و الحاضر المستمر ، رأينا انقلاباً مدهشاً ، و قفزة واسعة ، أشبه بالخيال من الحقيقة ، و لم يسعنا إلا الاعتراف بضخامة عمل المملكة العربية السعودية أيدها الله ، و إنجازاتها فى مجال النهوض بالبلاد علمياً و ثقافياً .

و لكن اسمحوا لى أيها السادة ! أن أقول إن النتيجة كانت أضخم وأعظم و أدعى للدهشة و الاستغراب ، إذا تعاونت العوامل المؤثرة فى تكوين السيرة ، و تثقيف العقل ، و سبك الخلق أكبر تأثير ، و أزيل التناقض الذى يعانيه المسلمون فى كل بلد ، فلم تكن فجوة بين مراكز التعليم التى تنحصر فى جدرانها و بين الحياة التى تموج موج البحر ، فلا يؤتى التعليم و وسائل التربية أكلها ، و لا تتحقق أغراضها إلا إذا كان هنالك انسجام كامل ، و تعاون وثيق بين هذه المؤثرات الخارجية و الداخلية ، و كانت تسير على خط واحد إلى غاية واحدة .

(يتبع)

من فقه الدعوة
ركائز الدعوة فى القرآن

الدعوة ، الداعيـــة ، الأسلوب

إعداد : الأستاذ محمد إبراهيم شقرة

القرآن الكريم هو السجل الخالد الذى يحوى فى سوره وآياته كل قضايا الانسان فى حاضره و مستقبله ، و قـــد ظل الانسان يعيش بلا أمل و لا هدف و سلخ من عمره فوق الأرض آماداً طويلة و هو يحتطب من هموم الحياة و آلامها ما يعجز ضعفه عن احتماله ، و يضيع من متاعب دنياه و أضغانها قلائد أفكاره ، و يصوغ من كبده فيها مجداً لم يحقق له سعادة و لم يضع له على طريقه علامة واحدة ترشده إلى غاية . حتى هبط الوحى الأمين بالقرآن الكريم على الرسول العظيم ، فكان التحول الكبير لهـــذا الانسان فاستقامت خطاه على درب الحياة ، و مشى فوق الأرض التى اتخذها لنفسه موطناً فى غبطة و عافية ، و شاعت فى صدره بواعث الحب و الرجاء .

و أول ماحملته آيات القرآن و سوره للانسان دعوته إلى الالتزام بما فرضته من أحكام مستنبطة من الأوامر والنواهى التى اشتملت عليها بكل مراتبها و معانيها من الوجوب و الندب و التحريم و الكراهية و الاباحة و بكل الصيغ التى تفيد الأمر و النهى سواء ما كان منها إنشاءاً أو خبراً .

و هذه الأوامر و النواهى فى مجموعها تخضع لمفهوم الثواب و العقاب ، و هو مفهوم الجزاء القائم على العدل المطلق ، ينتظر الانسان فى الدار الآخرة .

و قد عنى القرآن الكريم بأمر الدعوة عناية فائقة ، و وضعت آياته الركائز الأساسية لها ، و ليس ذلك بخاف على من يقرأ القرآن بتدبر و فكر و إمعان نظر ، وهذه الركائز ثلاث هى : الداعية و الدعوة و الأسلوب ، و سنفصل القول فى كل ركيزة تفصيلا يعتمد الآية القرآنية وحدها التى تتصل بها .

أولا : الداعيـــة

لا شك أن الدعوة تحتاج إلى من يحملها ، إذ لا يمكن لها أن تتحرك وحدها و إن كانت لدعوة الاسلام خصائص تتميز بها من سائر الدعوات التى ظهرت على وجه الأرض ما كان منها وحياً و ما كان منها وضعاً ، و من أبرز هذه الخصائص (الحركية الايجابية) التى لازالت الدعوة الاسلامية تتحرك بها منذ أن تقلص ظل الاسلام عن الأرض .

و يجب أن يكتسب الداعية من خصائص الدعوة ما يقدره على أن يواكب هذه (الحركية الايجابية) و إلا قعدت به قدرته عن حمل الدعوة حملا إيمـانياً ، ينيله رضوان الله فى الآخرة و السؤدد و الرفعة فى الدنيا ، و إذا كان الأمر كذلك فلابد من توافر صفات فيه كى يكون قادراً على حمل الدعوة إلى الله :

الصفة الأولى :

الاستعداد الفطرى أو ما يسمى بالموهبة ، فليست الدعوة فناً مكتسباً من الفنون التى تشيع بين الأفراد والجماعات ، ولو كانت كذلك لما عرف الناس شيئاً عن الدعوة و لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم قادة الدعاة وسادتهم و بهم وعلى أيديهم انتشرت الدعوة فى آفاق الأرض ، و ظلت رايتها تخفق فوق ربوعها ردحاً طويلا من الزمن .

و هذا شئ لا يعلم إلا الله وحده فى سرائر الناس ، فاذا علمه أظهره بتيسير سبيل إلى إظهاره فيكون الاصطفاء منه للداعية ، وأعظم الدعاة هم الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم جميعاً ، و هم الصفوة المختارة المجتباة الذين هيأهم الله لحمل رسالاته و الدعوة إليها ، و فى هـذا يقول القرآن الكريم (و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبى من رسله من يشاء) . الآية ١٧٩ — آل عمران .

و توكيداً لهذا المعنى يجعل مناط الرسالة المكلف بابلاغها و الدعوة إليها مما اختص نفسه الشريفة بعلمه ، فلا يطلع على ذلك أحداً من خلقه إلا بعد أن يرى الداعية حقيقة شاملة أمام الناس جميعاً و فى هذا يقول (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

و هذه الموهبة لا تظهر للناس إلا باذن ربها ، فاذا كان اختيار الله للداعية إن كان نبياً أو مرسلا من عنده كان الاذن بابلاغ الرسلالة التى أمر بابلاغها (و ما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) آية (٧٨) المؤمن، فتظهر الموهبة و يتداعى الناس إليها فى رجاء و صدق .

و مشيئة الله عزوجل تقضى أن تضع الخلائق كلها فى قبضتها و منها موهبة الداعية فلا تسلك الناس فى نظامها إلا إذا شاءت ، و هذه الموهبة تظل منتظرة الاذن من ربها أن يظهرها أو يلهمها أن تظهر ، فتظهر وهذا ماأشارت إليه الآية الكريمة (و لو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً) آية (٥١) الفرقان.

هذه الآيات البينات وما يشابهها تتحدث عن الموهبة التى لابد أن تكون أول ما يجب أن يتصف به الداعية .

الصفة الثانية : المعرفة والفقه :

و المعرفة هى التى توجد القدرة لدى الداعية ليخاطب الناس بالدعوة و إليها و هذا يكون تارة بالتبشير و تارة يكون بالانذار ، وبهما بعث الأنبياء و وصفوا بقول الله عزوجل فى وصف رسله (رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . آية (١٦٥) النساء ، و لا يكون التبشير و الانذار إلا بالفقه القادر على ربط قلوب الناس بهما ، و إذا نال الأنبياء هذا الوصف بالوحى فعلى الدعاة أن ينالوه بمدارسة هذا الوحى و تعلمه و أخذ نفوسهم به جملة و تفصيلا .

و قد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم فى هذا تتحدث عن هذا الوصف و ذلك كما فى قوله سبحانه (و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين و منذرين) آية ٤٨ الأنعام و آية (٥٦) الكهف .

الصفة الثالثة : أن يكون قدوة :

و الداعية لا يكون مؤثراً فى الذين حوله و مؤلفاً لقلوبهم إلا بسلوكه وتطبيقه العملى لما يدعو الناس إليه تطبيقاً يذكر الناس بقوله عائشة وهى تتحدث عن رسول الله ﷺ (كان خلقه القرآن) .

ويضع القرآن الكريم القدوة فى المكان الاسمى وفى شخص النبى الكريم ليكون ماثلا فى ذهن الداعية و قلبه شاخصاً أمام ناظريه وهو يستمر بالدعوة بين الناس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) آية (٢١) الأحزاب .

وحتى لايفاجأ الداعية بالفتنة وما يعرض له من مصائب يذكره القرآن بقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

البأساء و الضراء و زلزلوا حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله) آية (٢١٤) البقرة .

و للداعية مثل فى الأنبياء وهم يتلقون الوحى بأخذ الميثاق عليهم فان أصابه شئ من البلاء فهو قد أصاب الأنبياء قبله (و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و إبراهيم و موسى و عيسى بن مريم و أخـــذنا منهم ميثاقاً غليظاً) آية (٧) الأحزاب .

وهؤلاء المـــذكورون فى الآية هم أولو العزم الذين صبروا على أذى أقوامهم أشد الصبر و تحملوا منهم مالم يتحمله غيرهم من الأنبياء ، فاستحقوا بذلك أن يكونوا فى منزلة يتأسى بهم الناس فى الصبر عليها حتى النبى الأكرم محمـــد صلوات الله و سلامه عليه ، فيخاطب القرآن الدعاة فى شخصه فيقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (آية ٣٥ الأحقاف) .

والاستهزاء و السخرية لا يحسن بالداعية أن يكونا سبباً فى صده عن الدعوة و انقطاع رجائه فيمن يهزأون و يسخرون ، فهذه سنة قد خلت بها الأمم السالفة مع أنبيائهم ، فما صدهم ذلك عن الدعوة و ما أخلد بهم إلى الأرض و ما كان ليخطر ببالهم هذا وهم يتصدون للدعوة فى أحلك الظروف (و لقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) آيتا (١٠ و ١١) الحجر .

فاذا قرأ الداعية هذه الآيات حفزه الرجاء إلى خوض البأس للوصول إلى الرجاء . و هكذا فاننا واجدون أن هذه الآيات و أمثالها فى القرآن الكريم تعرض للحديث عن القدوة عرضاً يفرض على الداعية أن يتمثلها فى كل أحواله ، يسره و عسره ، رخائه وشدته ، ليقتدر على نيل الحقيقة التى يسعى إلى إظهارها للناس و جمعهم عليها .

ثم إن الله لا يبعث رسولا باذنه إلا بآية ، و الآية شئ من المعرفة التى لابد من توافرها عنده ليتمكن من دعوة الناس على هدى و بصيرة . إذ كيف يمكن لنبى أو رسول أن يأتى بآية ثم لا يكون قادراً على وضعها موضعها و هو يدعو الناس إذ لابد من المعرفة الواعية الهادية التى يبصر بها الآية بصراً عميقاً و يبصر بها أيضاً كيفية مخاطبة الناس بها و هذه هى المعرفة أو الفقه الذى لابد منه للنبى أو الرسول (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله) آية (٧٨) المؤمن . وإذا مضى الأنبياء بهذه المعرفة التى كان يسددهم بها الوحى فمن جاؤا على أعقابهم من الدعاة لا يحس بهم بل لايكونون قادرين على حمل الدعوة إلا بهذه المعرفة و هى فيهم لا تكون إلا بالكشف و المعاناة المدركة لكل المعارف التى يحتاج إليها الداعية و هو يدعو الناس إلى الله .

و الأنبياء جميعاً بعثوا فى أقوامهم بالآيات الواضحات و البينات الهاديات ، فصدق من صدق و كذب من كذب ، (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) آية (٣٢) المائدة . وأعظم ما دعا إليه الأنبياء هو توحيد الله عزوجل فى ربوبيته و ألوهيته و صفاته ، و هو أعظم قمم المعرفة الانسانية التى ترقى من فوقها إلى ملكوت العرش لتصل نفسها به و هى فوق تراب الأرض (و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) آية (٢٥) الأنبياء. و إذا لم تستو حقيقة التوحيد فى نفوس الدعاة عجزوا عن دعوة الناس إلى قواعد الاسلام و أصوله الكلية الأخرى و فشلوا فى وصل الناس بمسار الدعوة الصحيح .

و لا شك أن الدعوة الصحيحة لا يدركها إلا العاقلون ، فاذا غامت صورتها فى عقولهم وقعوا تحت سيطرة المألوف الذى لا يقوم على قاعـــدة

أوتصور صحيح ، لذا كان لابد من تهيئة نفوس الدعاة وعقولهم لمخالفة المألوف الذى جرى عليه الناس فى معارفهم و إن قامت فى وجوههم سدود التحدى والاستكبار لصدهم وألفت من صبرهم وقدرتهم (أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون) آية (٨٧) البقرة . وإذا كان هذا شأن الأنبياء مع أقوامهم كما يصوره القرآن فما ينتظره الدعاة لا يقل خطراً عما وقع للأنبياء .

وأمضى سلاح الأنبيا هو العلم المجموع فى الكتاب وعلى أساسه أخذ الله منهم الميثاق لأنه به تتضح الطريق وتستقيم الجادة و به تكون النصرة والتصديق لعمل الدعاة فى كل زمان (و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آية (٨١) آل عمران .

الصفة الرابعة : الصبر و الشجاعة :

و الدعوة لا يحملها الجبنـاء العاجزون ، و إنما كتب الله أن يحملها الشجعان القادرون ، فطريق الدعوة مملوء بالمخاطر محفوف بالمخاوف و حمل الدعوة ثقيل لا يقوى عليه إلا من كان مهيأ لذلك . و الصبر هو أملك وسيلة فى يد الداعية يقوى بها على مواصلة حمل الدعوة حتى يلقى الله عزوجل ، وهذا ما وهبه الله رسله و أنبياءه صلوات الله و سلامه عليهم جميعاً و قضوا عليه (و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أوذوا حتى أتاهم نصرنا) آية (٣٤) الأنعام .

و الصبر لا يكون إلى فترة و جيزة ثم ينقطع بالداعية و حسبه اليأس عن السعى إلى إبلاغ الدعوة ، بل إنه يظل سلاحه حتى يتم النصر و هذا ما تقرره الآية (وازدادوا حتى أتاهم نصرنا) و أقوى مراتب الشجاعة أن يصبر الداعية على الأذى حتى يقطف ثمار النصر ، هذه الحقيقة القرآنية يغفل عنهـا كثير من الدعاة و بخاصة فى هذه الأيام العصيبة التى تصطخب أمواج ظلمتها و تقهر الضعفاء و الجبناء .

و الصبر لا يظهر فى حالة الرخاء و الدعة ، و إنما فى حالة الشـدة والتعب ، و به يكون التمييز بين الأقوياء الصادقين فى الدعوة و بين الضعفاء الكاذبين فيها (و لقد فتنا الذين من قبلكم فليعلمن الله الذين صدقو و ليعلمن الكاذبين) آية (٣) العنكبوت .

و الشجاعة فى أمر الدعوة ليست كلاماً يردده اللسان و إنما هو تصور كامل واضح للدعوة ثم احتمال لكل بلاء يصيب الداعية (و من الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله (آية (١٠) العنكبوت .

ثم إن الصبر على البلاء ليس عنوان شجاعة الداعية فحسب ، بل هو تمحيص له و إخراج كل شائبة من قلبه وعقله لا تتفق مع طبيعة الدعوة (وليمحص الله الذين آمنوا) آية ١٤١ آل عمران .

و الغاية المنشودة التى يسعى الداعية للوصول إليها هى الجنة ، و الجنة ليست سلعة رخيصة تنـال بالنوم العميق و اللقمـة المريئة و الشربة الهنيئة ، إن الجنة سلعة الله و هى غالية فلا ينالها من الدعاة إلا المثابرون الايقـاظ الذين لايجدون سعادتهم ولايستمرؤون حياتهم إلا فى الجهد الباذل (أم حسبتم

أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) آية (١٤٢) آل عمران .

ثم إن للدعاة فى سير الأنبياء و المرسلين ما يدنى لهم النهايات و ينيلهم الطمأنينة السابقة لما يجدون فيها من تضحيات و صبر على المشقات و قبول لكل ما يصيبهم من البلاء و كل أولئك عنوان ضخم على الشجاعة و القوة فى حمل الدعوة (و ما لنا ألا نتوكل على الله و قد هدانا سبلنا و لنصبرن على ما آذيتمونا و على الله فليتوكل المتوكلون) آية (١٢) إبراهيم . و الصبر و صية الأشداء و الأقوياء لأبنائهم ، بعد أن يكونوا قد ذاقوا هم حلاوته و نالوا من لذته الكثير فيرون بعد ذلك أن من الاثم و الخيانة أن يمنعوا ذلك عن أبنائهم فان فعلوا ذلك فهو أنانيـــة لا يحسن بالدعاة أن يتصفوا بها . كما أن الدعوة ميراث يجب أن يقوم عليه الأبناء بعـــد الاباء من غير تفريط و لا تخاذل ، كل ذلك جاء فى وصية لقمان لابنه (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف و انه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور) آية (١) لقمان .

ثانياً : الدعوة

قلنا (إن الدعوة ليست فناً مكتسباً من الفنون التى تشيع بين الأفراد و الجماعات و لو كانت كذلك لما عرف الناس شيئاً عن دعوة الحق ودعوة الاسلام ليست كسائر الدعوات التى ظهرت و اختفت أو لا زالت ظاهرة أوهى بين الخفاء والظهور، سواء ماكان منها وحياً أو وضعاً فدعوة الحق فيها من عناصر البقاء و الاستمرار ما ليس فى سواهـا ، كما أن فيها من عناصر التأثير و الاستقطاب ما ليس فى غيرها ، فاستحقت بذلك أن تكون سيدة الدعوات

و أن تكون هى الدعوة التى يختص الله بهـا نفسه الشريفة (إن الدين عند الله الاسلام) فكانت هذه النسبة الشريفة العظيمة رداً عظيماً لها أغناها عن كل رد سواه ، و صانها من الضياع و التبديل و هذه أول صفة من صفات الدعوة التى يراد لها النجاح و التأثير ، و هـــذه الصفة وحدها لا تكفى فى نجاح الدعوة و تأثيرها إذا لم تجتمع إليها صفات أخرى .

الصفة الأولى : الحفظ الدائم :

فالدعوة التى لاتحفظ أحكامها وشرائعها دعوة ذاهبة ، تسرع إليها يد الفناء و الضياع و تصبح تاريخاً ترويه الأجيال عن الأجيال ، و مع مرور الزمن و تقادم الأعوام تصير نسياً منسياً و هـــذا ما حدث فعلا لكل الدعوات التى ظهرت حتى يومنا هـذا باستثناء دعوة الاسلام ، و للقرآن منة لو ظلت تلك الدعوات قائمة — ما نسيتها و هى أنه حفظ طرفاً من سيرتها لتبقى عبرة قائلة لكل الأجيال العاقبـــة : إن يد دعوة الاسلام ستظل تطوق رقابنـا الدهر كلـــه .

و هذه الصفة بارزة فى القرآن بروزه نفسه ، فليس فى استطاعة أحد من الناس مهما بلغت عداوته للاسلام أن يدعى أن القرآن قد انتقص شيئاً رغم مرور القرون العديدة عليه ، بل إنه ليس بقادر أن يقول : إنه ليس للقرآن جدة دائمة لاتبلى على الأيام و هذه الصفة مذكورة فى قوله عزوجل (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون) آية (٩) الحجر ، و بها تظل أحكام الدعوة و شرائعها حاضرة فى أذهان الدعاة كلما دعت الحاجة أخذوا منها ما شاءوا لما شاءوا مما يعرض إليهم فى أثناء دعوتهم الناس .

و الدعوة لا تؤدى دورها الصحيح إلا إذا كانت مبادؤها و شرائعها محفوظة حفظاً يرد عنها الباطل و يدرأ عنها السوء ، و لا يتطرق إليها به الشك ، و لا يقوى على مناهضتها شئ مما يحكيه أهل الباطل فى عقولهم و صدورهم وهذا ما تقرؤه فى قول الله سبحانه عن القرآن (لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) آية (٤٢) فصلت .

و لا تكون صفة الحفظ ظاهرة إلا إذا كانت مبادئ الدعوة وشرائعها منسجماً بعضها مع بعض فلا اختلاف و لا تناقض ، و هذا شئ لايقوى عليه العقل البشرى مهما أوتى من الاحكام و الذكر ، فان النسيان صفة من صفات الانسان و هى صفة نقص لابد أن تظهر فيما يقول أو يفعل ، إذا فلا تكون المبادئ و الشرائع منسجمة فلا تناقض ولا اختلاف إلا إذا كانت من خالق الانسان و مدبر أمره ، (و فى هـذا المعنى يقول الله (أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) آية ٨٢ النساء .

و إذا كانت مبادئ الدعوة و شرائعها ليس فى طبيعتها القدرة على الصمود و مقاومة كل غريب لايتفق معها فهى مبادئ و شرائع لا تصلح أن تكون جسراً بين الدعاة و بين الناس و لا تكون نائية عن يد الفناء والتبديل و التغيير و هذا أمر يجب أن تبرأ منه الدعوة (و اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته) آية ٢٧ الكهف .

الصفة الثالثة : الاحاطة و الشمول :

و إذا كانت الدعوة لا تلبى حاجات البشر تلبية كاملة و تضع الانسان وجهاً لوجه أمام متطلباته بحيث تقوم عليه الحجة فلا يملك إلا الاستجابة الراغبة والخضوع المطلق فهى دعوة ناقصة قاصرة لاتصلح لبناء حياة الانسان و لايقدر

بها الدعاة على مخاطبة الناس وإقناعهم بالدخول فيها و الأيلولة إليها بعد طول عناء و شدة فى البحث عن شئ يطمئنون إليه .

إذاً فلابد أن تكون شرائع هذه الدعوة إحكامها محيطة بكل حاجات الانسان و لكى تكون كذلك لابد أن تعرف هذه الحاجات معرفة تامة فتكون هذه الشرائع محيطة بحاجات الانسان أينما وجد و على أية حالة يكون ، وهذا أمر لا يدركه العقل البشرى القاصر علمه على المشاهد المحسوس . بل ربما يكون قاصراً عن ذلك أيضاً وإنما يدركه العليم الخبير ، الذى يعلم ما فى السموات و الأرض و يعلم من جملة ما يعلم حاجات الانسان الخافية عن الانسان نفسه « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات و الأرض » آية ٦) الفرقان .

و لا تكون الدعوة محيطة بحاجات الانسان فى كل زمان و على أية حالة يكون إلا إذا كانت كاملة لا تحتاج إلى شئ « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » آية (٣) المائدة . « وتمت كلمة ربك صدقاً و عدلا لا مبدل لكلماته » (١١٥) الأنعام .

و هذه الصفة لا تكون ظاهرة إلا باعتراف صريح أو ضمنى لابد من أولياء الدعوة بل من أعدائها أيضاً و هذه قوة فى الصفة تعدل فى الأهمية الصفة نفسها إذ لا تكون كاملة واضحة مؤثرة إلا بها و كما قيل : و الفضل ماشهدت به الأعداء . ويسجل القرآن هذا الاعتراف الضمنى ، باعتراف أهل مكة « وقال الذين كفروا لولاأنزل عليه القرآن جملة واحدة آية (٣٢) الفرقان . فيأتى الرد عليهم عقيبه قوياً بأن هذه الصفة « الاحاطة » إنما تتم بالتدرج لأمر يتعلق بشخص الداعية الأول صلوات الله و سلامه عليه « كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا » آية (٣٢) الفرقان .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يقرر هذه الصفة ويبرزها من خلال آياته البينات لتظل منطلقاً ثابتاً للدعاة يرون من خلالها سبيل الدعوة واضحة بينة .

الصفة الثالثة : الملاءمة لكل زمان و مكان .

وإذا كانت الدعوة لا تصلح لاستقطاب الناس وجمعهم على مبادئها وإن تحمل لابلاغها إلا إذا توفرت فيها صفتا الحفظ الدائم و الاحاطـــة ، فان ملاءمتها لكل زمان و مكان ، صفة يجب توافرها فى هذه الدعوة ، و الملاءمة لا تعنى أن تكون الفروع و الجزئيات ملاءمـــة و مطابقة لحاجات الانسان المستجدة التى تختلف باختلاف الزمان و المكان ملاءمة كاملة ، فهذا شئ يتنافى مع طبيعة دعوة الحق الخالدة ، فقد جاءت الدعوة بأصول و قواعد كلية يمكن أن تنزل عليها الحوادث المستجدة (الفروع و الجزئيات) فتستنبط أحكامها فى إطار الأصول و القواعد الكلية ، وبهذا الاستنباط يكون استيعاب الأصول للفروع ، فلا يشذ أصل و لا فرع عن هذه الصفة و تظل الدعوة سائرة بقوة تؤدى دورها كاملا غير منقوص .

و هـذه الصفه لا تتحقق للدعوة إلا بتيسير فهمها و سهولة استيعـاب العقل أحكامها و هذا ما يشير إليه القرآن بقوله « و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» آية (٦) القمر . فتبقى الدعوة سهلة الفهم ، يرتادها المجتهدون فى كل زمان و مكان يعرضون الحوادث عليها و ينزلون الوقائع على أصولها و قواعدها الكلية و لا يرتابون فى صدق موافقتها للحق ما دام أنهم قد بذلوا الجهد فى الوصول إلى المسائل المستنبطة .

ثم إن هذه الصفة لاتكون مطابقة للواقع إذا لم يستطع المجتهد أن يجد فى أحكام الدعوة و شرائعها ما يقتدر به على مواجهة الوقائع التى تخص أمة

الاسلام ، أولا لأنها هى الأمة التى ستحمل الدعوة للناس كافة ، لذا يجب أن تكون الدعوة ملبية حاجات من يحملها فى كل زمان و مكان ليسهل عليهم نقلها من ثم إلى غيرهم ، و هذا ما ينبه إليه القرآن بقوله « لقد أنزلنـا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » آية (١٠) الأنبيا .

بهذه الآيات المباركات تبرز صفة للدعوة تلازمها فى أداء مهمتها الضخمة التى تقتدر بها على مواجهة التحديات العقائدية و هى مجتمعة تفوق سهام خصومها إليها فى غير رحمة و لا شفقة .

الصفة الرابعة : الهيمنة و العلو :

لا يقصد بهذ الوصف النيل أو الا نتقاص من الدعوات التى سبقت دعوة الحق فلكل دعوة من تلك الدعوات شخصيتها المتميزة بخصائص توافق زماناً معيناً و مكاناً معيناً . لا تصلح بها لغير هـــذا الزمان أو المكان ، فاذا ذهب هذا الزمان ، أو اضطربت أحوال ذلك المكان ، بحيث لا تعود خصائص هذه الدعوة صالحة لمواجهة المشكلات و الوقائع القائمة فيها ، تقلصت هذه الدعوة و زالت بالتدريج و انقرضت لتفسح المجال لدعوة أخرى تحل محلها و تقوم بدورها فى هداية الناس و إخراجهم من الظلمات إلى النور .

وقد ظلت هذه الدعوات التى سبقت دعوة الحق تؤدى دورها فى المجتمعات البشرية حتى اكتمل نضجها و أضحت قادرة على أن تحيا فى ظل دعوة واحدة باقية على الدهر ، لا تختلف فى أصولها وقواعدها الكلية تستوعب كل مشكلات الانسان أينما وجد فى أى زمان ، وحوت كل ما يتفق و الفطرة الالهية التى فطرت عليها من الدعوات التى سبقتها و قصرت عن إسناد الانسان فى مسيرته الحياتية ، فكانت دعوة الحق التى هيمنت على كل دعوة سبقتها ليكون بها للانسان

شأن باق على الدهر و هذا الوصف يقرره القرآن فى قول الحق جل جلاله « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» آية (٤٨) المائدة ، و وصف الهيمنة الذى تبرزه هذه الآية يبت ما أشرنا إليه مثلا من أن وصف الدعوة بهذا الوصف و لايقصد بها النيل أو الانتقاص من الدعوات التى سبقت دعوة الحق و ذلك فى قوله «مصدقاً لما بين يديه من الكتاب » فدعوة الحق جاءت تصديقاً لما قبلها و مجرد التصديق مع استيعابها مجتمعة بأصولها وقواعدها الكلية كاف فى الاشعار بهيمنة دعوة الحق على سائر الدعوات ، غير أن القرآن يأتى بصريح لفظ الهيمنة كيما يبقى مجال للداعية فى حمل الدعوة مع اليقين الكامل فى قلبه بعلو و دعوة الحق على كل دعوة .

و تقريراً لهذا الوصف يكون الميثاق و العهد على النبيين أن يؤمنوا برسول يأتى من بعدهم و ينصروه إن هم أدركوه إقراراً منهم و اعترافاً بدعوة الحق وإنها هى الدعوة التى يجب أن تهيمن و تعلو سائر الدعوات و هذا ما يصرح به قوله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » آية (٨١) آل عمران فتكون الهيمنة للرسالة و للرسول ، والرسالة هى الدعوة و الرسول الذى حملها هو الداعية الأول إليها .

و يكون الأشعار للأمم السابقة بهذا الوصف للرسالة و للرسول معاً فى كتبهم التى جاءت من عند الله كى يؤمنوا به إن هم أدركوه من غير عنت و لا تردد و هذا ما تقرؤه فى قول الحق عزوجل « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم » آية (١٥٧) الأعراف .

و منزلة الأشهاد على الأمم فى الآخرة تشعر صراحة بهيمنة صاحب هذه المنزلة على سائر الأنبياء ، وهيمنة صاحب هذه المنزلة هيمنة للرسالة التى جاء بها و ذلك قوله سبحانه « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً » آيه (٤١) النساء.

هذه الآيات تقرر وضعاً يكمل الأوصاف الثلاثة السابقة للدعوة هى فى مجموعها إبراز لشخصية الرسالة لتكون منهاجاً واضحاً للدعاة إلى الله .

ثالثاً : الأسلوب

إذا كان الداعية فى حاجة إلى دعوة يدعو الناس إليها ، و إذا كانت الدعوة فى حاجه إلى داعية يحملها ، فالداعية فى حاجة إلى الأسلوب الذى يقدم به الدعوة إلى الناس ، إذ الأسلوب هو المفتاح الذى يفتح به الداعية مغاليق القلوب و العقول وبغيره يكون الداعية عاجزاً عن حمل الدعوة ، و إن كانت الملكة العلمية ناصيتها بيده يصرفها كيف يشاء ، لأن العلم و المعرفة صفة من صفات الداعية و هى جزء من أجزاء تكمل كلها شخصية الداعية ، و لا يغنى أحدها عن الآخر ، فان توافرت لدى الداعية الواحدة منها فهى واحدة ، أواثنتان فهما اثنتان ، حتى إذا توافرت جميعها ، اكتملت شخصية الداعية فيه وأصبح قادراً على مخاطبة الناس و تجميعهم حول الدعوة .

لكن هذه الأوصاف لا تقدر الداعية على إبلاغ الدعوة إلا إذا امتلك الأسلوب وكما أن للداعية و للدعوة صفات لا يكون إلا بها فالأسلوب لا يقوى

الداعيـــة به على عرض الدعوة على الناس إلا بعنـــاصر تجعل الدعوة ميسرة قريبة .

و قـــد سبق أن قلنا إن الدعوة ليست فناً مكتسباً من الفنون ، لكن عرض الدعوة فن عظيم يجب على الداعية أن يتقنه ، كى يتمكن من القيام بأعباء الدعوة ، فالدعوة أحكام و شرائع و نظم و عقيدة و أخلاق .. إلخ ، ويمكن أن تقرأ فى كلمات مسطورة لكنها لا تكون مؤثرة على متلقيها تأثير العرض الحسن و لربما كان لحسن العرض ثلاثة أرباع التأثير و لحسن إتقان مبادىء الدعوة و شرائعها الربع الآخر ، فكان إذا حقاً على الدعاة أن يتعلموا فن عرض الدعوة ، و أن يكون قدوتهم فى ذلك الداعية الأول محمد ﷺ ، هذا العنصر نراه واضحاً فى قوله عزوجل « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » آية (١٢٥) النحل .

و هنا أنبه على شئ طالما وقع الكثيرون فيه بالخطأ و هو أنهم يعرفون قوله « بالحكمـــة » بالرفق و اللين غافلين فى ذلك عن المعنى الحقيقى المراد و هو كما فسره جلة المفسرين « بما أنزل الله على نبيه من الكتاب و السنة و الموعظة الحسنة أى بما فيه من الزواجر و الوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى » إذا فحسن العرض إنما يستفاد من مجموع ألفاظ هذه الآية والنظر فى معناها الاجمالى ، لا أن يؤخذ معنى كل كلمة منها على حدة ، و نستطيع أن نفهم الرفق و اللين من قوله تعالى و التى هى أحسن و هذا ما ذكره ابن كثير رحمـــه الله » ثم إن حسن العرض لا يتحقق للداعية إلا إذا صيغ الأسلوب صياغة توافق الأحوال النفسية للمخاطبين بالدعوة وهذه الصياغة إنما تكون باللغة التى يقتدر بها الداعية على إبلاغ العقول دعوة الحق فاذا عمد

الداعية إلى لغة غير لغة المخاطبين بالدعوة فقد باء بالفشل ، فاللغة هى السبيل الوحيد إلى إيصال المعانى المراد إيصالها إلى عقول المخاطبين بالدعوة و يمكن بها الداعيـة أن يتعرف على ما عند المخاطبين من مشكلات فيضع لها الحلول الصحيحة و هذا ما يؤكد عليه القرآن « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم ليبين لهم آية (٤) إبراهيم » .

و استجابه المخاطبين للداعية لا تتحقق و لا تكون إلا إذا فهم المخاطبون لسان الداعيـة و ما أرسل الله الرسل و هم سادة الدعاة إلا ليطاعوا باذنه ، و أشق شئ على العقل أن يلزم بشئ ، لا يفهمه لخفائه أو للجهل باللسان الذى يعرض به ، و فى قول الحق جل جلاله (و ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) آية (٦٤) النساء . إشارة إلى هذا ، ثم إن الأسلوب لا يبلغ بالداعية الغايه المنشودة إلا إذا كان فيه عنصر التدرج ، و القرآن يحدثنا عن هذا العنصر فى عـــدة موضوعات و من أبرزها مسألة الخمر ، فقد كانت الخمر شائعة فى الجاهلية و جاء الاسلام و الناس غارقون فيها فبدأ يسلك بهم طريقاً اعتمد فيه التدرج ، وهى أنجع طريق فى القضاء على العادات السيئة المستعصية ، فكان أن نهاهم عن قربان الصلاة و هم سكارى ، « ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » آية (٤٣) النساء .

ثم عرض الأمر فى صورة سؤال و جواب و ترجح الاثم على النفع « يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منـــافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما » آية (٢١٩) البقرة . و بعد هـــذا التمهيد يأتى القطع بالتحريم « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » آية (٩٠) المائدة .

ثم إن أسلوب الأداء للدعوة يعتمد الاحاطة بالقضية التى تعرض قبل إصدار الحكم و هذا ما علمه الوحى نبى الله « و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و قل رب زدنى علماً » آية ١١٤) طه .

من هذه الآيات يبين للداعية أن لا يكون قادراً على إبلاغ الدعوة الحق إلا بالأسلوب الذى اكتملت فيه عناصر الأداء المتكامل القوى من حسن العرض ، و معرفة مداخل النفس البشرية ، واللسان الواضح المبين و التدرج .

هذا ما وفق الله لاستنباطه من آيات الكتاب المبين ، فان يكن صواباً و حقاً فهو من الله وحده و إن يكن غير ذلك فهو من قصور العقل عن إدراك الكمال الذى يعجز العقل عن دركه ، وقد قصدت من الاقتصار فى هذا الموضوع على آيات الكتاب بيان جانب من الثروة الفكرية و العملية التى اشتملت عليها آياته ، و لو شئنا أن ندلل على هذه الركائز و صفاتها من السنة لاجتمع لنا منها سفر كبير ، والله العظيم أسأل أن يكتب لنا جميعاً هذا النجاح و التوفيق و أن يحقق على أيدينا الخير للامة المسلمة ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

حركة إسلامية معاصرة :

جماعة الدعوة والتبليغ

(الحلقة الثانية)

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة
« معرب »

كان الشيخ إلياس يود أن يسوق الغافلين و المعرضين إلى الله - سبحانه و تعالى - و يوقظ فى نفوس اللاهين المهملين شعور العقيدة ، و المسؤلية أمام الله ، حتى ينقادوا لأوامر الله تعالى ويسلكوا حسب الاحكام الالهية . إنه حاول أن يغير موقف المعجبين بأنفسهم الذين يزكون أنفسهم و يتكبرون ، ويبررون جميع أعمالهم - وهى الأمراض النفسية الفاشية فى عامة المسلمين اليوم - و ينفخ فيهم روح المحاسبة ، حتى يتمكن كل إنسان أن يطلع على عيوبه و مكامن ضعفه و أخطائه ، و يتعود على تقدير الجميل و الفضائل فى الآخرين و إنه علم أتباعه أن يتغاضوا عن عيوب الآخرين و يتجنبوا النقد اللاذع و ليحترم بعضهم بعضاً كضرورة ملحة لنمو الخير والفضائل فى المجتمع الانسانى و قد ركز الشيخ إلياس على هذه الأمور الأساسية .

١ - تصحيح النطق بالكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) والعمل بها .

٢ - الاهتمام بالصلاة (أى خمس صلوات مفروضة كل يوم) .

٣ - مذاكرة العلم والقيام بنشره .

٤ - تبنى الشريعة الاسلامية ، ورفض جميع طرق الحياة و النظم غير الاسلامية .

٥ - إيجاب حجاب المرأة ، ومع أنه لم يحث النساء على المساهمة العملية فى حركتـــه مباشرة ، و لكنـه شجعهن فى أداء مسؤليتهن تجاه نشر العقيدة الاسلامية ، و بث العلم فى عامة النساء .

٦ - التزام اللباس الأهلى الاسلامى لا سيما فى حق النساء .

٧ - حفظ كرامة الناس و شرفهم و احترام بعضهم لبعض .

٨ - رعاية النظافة .

٩ - التصميم و العزم الصارم على أن لا يتناول الأطفال التعليم العلمانى الجديد إلا بعد تربية دينية كافية .

١٠ - مساهمة الرجال الأكفاء و أصحاب الصلاحية العلميـــة النشيطة فى الحفلات والندوات ، و الجولات الدعوية التبليغية .

و بتأثير حركة الدعوة و التبليغ التى قام بها الشيخ إلياس ظل التجار الكبار فى دهلى الذين كانوا يستحيون و يخجلون من أن يقبلوا موظفاً ملتحياً فى دكاكينهم و متاجرهم ، جعلوا يطلقون لحاهم أنفسهم و أصبح أولئك الذين كانوا يغفلون عن الصلاة ، و يعتبرونها تدخلا فى شئونهم و أعمالهم اليومية ، يحضرون المساجد بانتظام و يؤدون الصلاة جماعة ، و يخرجون فى الجولات الدعوية ، و الذين كانوا يرون التجول و المشى على الشوارع و هم يحملون أمتعتهم و أثقالهم على أكتافهم ، وظهورهم ، و الاستراحة و المنام على الأرض العراء أدنى من منزلتهم ، و أحط من كرامتهم ، عادوا - فجأة - خلال الجولات الدعوية يساعدون الأصحاب و الرفقة فى أعمالهم و حاجاتهم ، فى طبخ الطعام و تهيئة الحاجات ، يتناوبون على الأعمال بروح الايثار و الاخلاص ، و يذهبون إلى البيوت ، و يترددون على أبواب الجيران الفقراء ، و قد عاش

الشيخ إلياس كذلك بين أفقر الميواتيين وأبسطهم فى العيش ، ينام على الأرض فى أى حجرة من الحجر ، أو فى ساحـــة المسجد و فنائه ، و يقضى جميع أوقاته فى النهار و ساعات من الليل فى التحدث إليهم بعاطفة و تحمس وسرور و لذة فكان الجو مملوءاً بذكر الله ، و كانت المساجد تغص بالحاضرين المصلين و الذاكرين ، و كان الميواتيون رغم شدة البرد فى فصل الشتاء يضطجعون فى أفنية المسجد ، يقون أنفسهم من البرد بالأكسية المتواضعة و الأردية القطنية ، و كانوا يستمعون إلى كلام الشيخ و حديثه المؤثر فى الأخبية و الخيام أو تحت الأشجار بانصات تام يخيم عليهم الهدوء و السكينة ، و المطر ينزل بغزارة فى فصل المطر على خيامهم التى فيها خروق و ثقوب يترشح منها المـــاء و تبلل القطرات المترشحه من خلال أوراق الأشجار ملابسهم المتواضعة ، ولكنهم كانوا يواصلون الانصات و الاستماع إلى خطبته فى شوق وإكبار .

كان الشيخ إلياس يحدب على الفقراء و المساكين و يشفق عليهم ويقدرهم وكان قد بنى مدارس جانبية لتعليمهم و تثقيفهم و تربيتهم تربية إسلامية ، كانت هذه المدارس متواضعة تقوم تحت ظلال الأشجار و يبسط الرداء فوقهم ليظلهم تماماً ، و توضع جرار كبيرة ، يبرد فيها الماء للشرب و يخزن الماء للحاجات الأخرى ، كما يهيأ الطعام ، و كان أعضاء هـذه الجماعـــة الداعية ، فى المنطقة ينتظرون المارة و السابلة ، و يتحدثون إليهم ببساطة وإخلاص ، عن الاسلام و العمل الذى كانوا يقومون به ، و كانوا يكيفون الجو ويهيئون المناخ الملائم للمستمعين إليهم و المصغين إلى دعوتهم .

و إليكم البرنامج اليومى الذى كان يجرى فى مركز الدعوة و التبليغ و إدارته الرئيسية فى « نظام الدين » تحت إشراف الشيخ إلياس ، ولم يزل

نفس البرنامج متبعاً مطبقاً إلى هذا اليوم ، و هو ما يلى :

يشتغل الساكنون فى المسجد بعد صلاة الفجر بالمذاكرة العلمية فيتذاكرون أسس الاسلام و مبادىء ، حتى يحين وقت الاشراق ، فيصلون ركعتين للاشراق - و لكن لا لزوماً - ويتعلمون أثناء تناولهم الفطور السنن المروية من النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، فى آداب الطعام و أدعيته ، ثم يوزع الساكنون الطالبون ، على حلقات المذاكرة حيث يشتغلون من الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة بالتعليم و التربية الدينية ، و يشرح لهم معنى كلمة لا إله إلا الله ، و يفسر التوحيد ، وتبين لهم أهمية الصلاة ، و مكانتها فى الاسلام و تأثيرها على الحياة ، و يبين طريقة تلاوة القرآن ، و يؤكد على ذكر الله و تسبيحه و تحميده ، ثم يشغل الوقت من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة ظهراً ، فى العمل الفردى مثل تلاوة القرآن و الذكر و الاستراحة ، و الحاجات الشخصية الأخرى ، و يقدم الغداء فى الساعة الواحدة ثم يصلى الظهر ، و بعد الصلاة يلقى الشيخ إلياس أو أى عالم آخر خطبة وجيزة ، ثم يتوزع المصلون فى حلقتين يتذاكرون فيهما العلم و يستظهرونه ، ثم يصلون العصر و ينتشرون بعدها فى جولات دعوية جماعات مختلفات ، كل جماعة ، يقودها « أمير » و يصحبها « دليل » و يتقدمها « متكلم » ثم تصلى كل جماعة من هذه الجماعات المنبثة للدعوة و التبليغ المغرب فى أى مسجد يقع على قرب من ذلك المكان الذى قاموا فيه بمهمة الدعوة ، و إذا كان المكان قريباً من « نظام الدين » مركزهم ، عادوا إليه و صلوا فى مسجده ، ثم يطلب بعد الصلاة إلى المتطوعين الجدد و المعتقين الحديثين لدعوتهم ليبدوا انطباعاتهم و مشاهداتهم ، أو يبينوا مبادئ الاسلام و أسسه ،

وتصحح أخطاؤهم إذا مست الحاجة إلى ذلك ، أو يتناقشون و يتذاكرون فيما بعد ، و يقدم العشاء قبل صلاة العشاء ثم يخطب بعد صلاة العشاء الشيخ محمد إلياس أو أى عالم آخر ، حول هذه الحركة ومقاصدها ، وهنا توضع خطط العمل الدعوى و برامجه لليوم القادم ، و تشرح أسس الدعوة ومبادئها وطريق الدعوة و أسلوبها ليستفيد منها القادمون الجدد ، و ينتهى البرنامج اليومى الرتيب إلى قرب نصف الليل ، و يؤدى كل ساكن من سكان المسجد صلاة التهجد بعد نصف الليل ، ثم يقضى بقية الليل فى الذكر و التهليل و التسبيح والصلاة على النبى ﷺ و يأخذ بعض منهم مضاجعهم و يستريحون برهة ، و بعض آخر يستمرون فى دعائهم و عبادتهم و أذكارهم إلى أن تصلى الفجر (١) .

و بالرغم من أنه قد مضى على وفاة الشيخ إلياس ثلاثون عاماً و لكن هذا البرنامج المنظم الرتيب لم يتغير يوماً من الأيام ، و إليكم انطباعات رئيس تحرير صحيفة « الجمعية » الذى زار المركز التبليغى فى عام ١٩٦٦ م .

« إن نظام الدين » - يومنا هذا - مركز لحركة إسلامية عالمية ، إنه بمثابة القلب ، يؤدى نفس الدور الذى يقوم به القلب من توزيع الدم فى العروق و الشرايين ، فكما أن الدم ينتقل من القلب و يدور فى العروق و الشرايين ثم يرجع إلى القلب ، كذلك ألوف من الناس يخرجون من هذا المركز إلى أنحاء العالم البعيدة و أطرافه المترامية ، ثم يعودون إلى مركزهم و يتزودون بقوة جديدة و فعالية جديدة ، ثم يتقدمون فى جولاتهم

(١) The faith Movement of Moulana Mohammad Ilyas . Mohammad Anwarul Haq , George Allen and Unwin ltd , London 1972 . P.153 .

الدعوية و ينتشرون فى أرجاء العالم .

بين يدى رجل قد أسن و شاخ ، وجهه فى غاية النحولة و الهزال حتى إن عظام وجهه تبدو بارزة ، وحالة البؤس والفقر و الجهل مكتوبة بحروف كبيرة على ملامح وجهه ، و بجانبه يجلس أناس موفورو الصحة ، أقوياء الجسم و بعض منهم بطين ، مترهل ، تنم وجوههم و ملابسهم عن أنهم مثقفون و أصحاب ثروة ، إن أول ما يدهش الزائر لمسجد « بنكله والى » - أى مسجد نظام الدين - هو حشد من الناس واجتماعهم الهائل ، فيموج هناك جمع عظيم من الناس ، يضم المثقفين والأميين و أصحاب الملابس الفاخرة و ذوى الملابس الرثة البالية ، و الشيوخ و الشباب .

ما هو المغناطيس الذى يجذب هذه الجموع الحاشدة من بلدان نائية و أقطار بعيدة ؟

كنت نائماً فى غرفة فى الطابق العالى للمسجد ، وإذا بدقات الساعة أيقظتنى كانت الساعة هى الثالثة والنصف ، لقد حان الوقت لاستئناف البرامج والنشاطات اليومية الدائرة الرتيبة فى المركز الدعوى ، هب مئات من الناس من نومهم ، و توضأوا ، ثم أدوا صلاة التهجد ، و بعد أن انصرفوا من صلاتهم ، اشتغل بعضهم بالدعاء و التضرع على عتبة الرحمن ، و أقبل آخر على الذكر و كان بعضهم يبكى ندما على سيئاته ، و طلباً لمغفرته ، و سؤالا من الله العفو و قبول التوبة ، يسجد فى خشوع و ابتهال ، و يدعو ويتضرع ، و هناك آخرون كانوا يتلون القرآن الحكيم ، و إذا بالمؤذن أذن للفجر ، فلما أقيمت الصلاة كان قرابة ثلاثمائة من الناس من طبقات و جنسيات وأصناف مختلفة متباينة ، قاموا فى الصفوف و أدوا صلاة الفجر .

فلما قضيت الصلاة ، كان ذلك الوقت لتوديع الجماعات الدعوية التبليغية و ترحيلها إلى مختلف القرى والبلدان ، و قد كانت قائمات أسماء الرجال الذين سجلوا أنفسهم ، معدة مهيأة حسب مناطقهم و أحيائهم التى ينتمون إليها ، فقام رجل ودعا أسماء أعضاء كل جماعة من الجماعات المؤلفة ، وتقدم الناس المدعون و صافحوا « الأمير » و ودعوه ، و قال « الأمير » لكل واحد منهم بعد أن صافحه و ودعه ، « أستودعك الله دينك و أمانتك و خواتيم أعمالك ، تقبل الله منك و منا و من جميع المسلمين أعمال البر و الخير » كان فيمن سجلوا أسماءهم فى الجماعات ، رجل أعرج ، فخرج هذا الرجل مع الجماعة ، و أخذ رجل ابنه الذى كان فى السن العاشرة و حمله إلى بيته ، كل ذلك كان يحرك فى النفس ساكن العواطف ، و كان مستحيلا أن يشاهد زائر هذا الجو ثم لا يتأثر ولا ينفعل فى أعماق نفسه بهذه النشاطات و الأعمال .

إن هذا البرنامج الرتيب الذى ذكرته ليس بخاص بيوم دون يوم ، بل إنه عام فى سائر الأيام ، إن هذا النشاط الروحى المتواصل يدوم و يغطى كل السنة ، لا يكون فيه تخلف ، إن مئات من الناس يشتغلون خلال ساعات النهار و الليل ، فى التعليم و التربية ، و المذاكرة والتبليغ ، و المحادثة فى الأمور الدينية ، والوضوء ، والصلوات ، والأدعية و الابتهالات ، والبكاء والتضرع ، والانابة و الخشوع ، و مع كل ذلك ، بالخدمة العامة ، و السلوك الاجتماعى الجميل ، و الاخلاق السامية النبيلة .

إن « نظام الدين » ليس مركزاً رئيسياً للاعمال و الخدمات الرتيبة ، كما هى حال المكاتب والادارات الرئيسية ، لجميع منظمات المسلمين بل إنه مثال عملى رائع لامع للاسلام ليس له - اليوم - نظير فى العالم الاسلامى كله .

كم من الناس قالوا لى : لقد عدنا مسلمين حقيقيين ، كل من يحب أن أن يرى الاسلام يحكم و يسيطر فى مكان فليذهب هناك » .

إن هذا الأسلوب والمنهج للعمل أهم و أنسب لحركة الدعوة والتبليغ ، إن نظرتهم الأساسية ومعالجتهم تتأسس على أن الناس سوف لا يقدرون على تقدير الدعوة الاسلامية و الاقبال عليها ، إذا حاولتم أن تعلموهم الاسلام فى مجالات أعمالهم و مكاتبهم و مصالحهم و معاملهم و فى وسط أشغالهم و نشاطاتهم الدنيوية ، ، لذا يجب أن تأخذوا بهم من وسط أعمالهم الرتيبة الخاصة ، إلى المساجد ، ثم تلقنوهم الاسلام و تعلموهم مبادىء بانشاء جو إسلامى روحى خالص ، و من ثم تستعد عقولهم لتقبل ما يعرض عليها من علم صحيح و تربية صالحة ، كل لحظة فيها تنمى العاطفة الايمانية التى تدفع صاحبها إلى تمتين الصلة بالله عز وجل و تعميقها إيماناً بأنه القدير على شئى ، و هو الخالق والحاكم و الناصر و له القوة الكبرى والسلطة العليا على كل شئى ، و لا أحد غير الله يملك القدرة على النفع و الضرر والاعطاء والمنع .

و قد ظهرت النتائج الباهرة لهذا البرنامج الخاص لعمل الدعوة والتبليغ الذى ألهمه الله فى قلب الشيخ إلياس ، فقد تأثرت به جموع من الناس لا يحصيهم إلا الله ، فى سائر أقطار العالم ، و تغيرت حياتهم و نشأوا نشأة جديدة ، وإن أولئك الذين كانوا يسخرون من « الأربعينة » - أربعون يوما للخروج فى الجولات الدعوية - عادوا بعد أن عاشوا فى وسطهم الاسلامى و قضوا أياما فى هذه البيئة الاسلامية و أثرت الدعوة فيهم ، معجبين بها غيورين عليها و متحمسين لها ، إنهم كانوا خرجوا مع الجماعة وهم يحلقون اللحى و عادوا و على وجوههم اللحى ، كانوا بدأو « أربعينهم » فى ملابس

و شارات غربيـــة ، و لكنهم لما رجعوا إلى الهند كانوا قـــد لبسوا قمصاً و سراويل بيضاء ساذجـــة ، إن عاملا فى حقل الدعوة و التبليغ قال لى : « لما خرجت أول جماعـــة تبليغية إلى إفريقيا ، التحق بهم و خرج معهم فى الجولات أشخاص من سكان تلك البلدان كانوا يلبسون الملابس الغربية . ولكنهم بلغ بهم التأثر بهذه الحركة ، أنهم عزموا على أن يسافروا إلى الهند ، ولكن مظاهرهم حينذاك كانت قد تغيرت إلى حد أن الموظفين على حدود البلاد لما رأوا صورهم الفوتوغرافية القديمة على جوازاتهم للسفر ، سألوا : هل لكم هذه الجوزات أو لأحد غيركم ؟ لقد وجـــدت هناك أمثلة لرجال لما خرجوا مع جماعـــة التبليغ كانوا يحملون معهم زجاجات الخمر لأنهم أصروا على أنهم لا يقدرون على ترك الخمر ، ولكنهم فى نهاية المطاف كسروا بأيديهم هذه الزجاجات وما أن انتهت « الأربعينة » التى تطوعوا لها ، إلا وتبنوا طريقة الحياة الاسلامية ، و استقاموا عليها بقية أيام حياتهم ، و إن كثيراً من المتعودين على إهمال الصلاة والزكاة ، والملوثين بالذنوب والسيئات ، والخلاعة و الاستهتار ، و الخصام والنزاع ، و أصحاب خسة و دناءة ، ثابوا إلى بيوتهم و كان متعذراً على أصدقائهم و ذوى قرباهم أن يعرفوهم (١) .

هذه الجولات المستمرة و الأشغال المرهقة المتواصلة ، و الأعمال الشاقة من غير راحة وهدوء أضعفت صحة الشيخ إلياس المنحرفة من قبل ، وأضرت به كثيراً ، و تفاقم الاسهال المزمن ، نتيجـــة تناوله الغذاء من غير انتظام ،

(١) « Revolutionary Force Of The Tabligh Movement » Wahee dudin Khan Awake !, Benoni (south Africa) April May 1975 pp. 40 - 41 .

و لنومه القليل الذى لم يكن يكفى ، و كلما كانت صحة الشيخ إلياس تتدهور ، كان يضاعف عمله و يكثف جهوده انتهازاً لكل لحظة من لحظات العمر ، و عندما يأتيه الأطباء كان أول ما يتحدث إليهم ، عن عمله و حركته ثم يأذن لهم بالفحص والتشخيص ، و لو سأله أحد من الناس عن حاله ، كان جوابه : إخوانى ! إن الصحة و المرض لا يفارقان الانسان فماذا أقول عنهما ، إننى أكون فى صحة و قوة عندما أشتغل بالعمل الذى خلقنا الله له ، و تجد روحى - عند ذلك - الهدوء و الطمأنينة ، و كان يسوءه أن يتقرب إليه أحـــد لأغراضه و مصالحه الشخصية ، إنه كان يحب أن تقوم الصداقة و التعاون على أساس الدين ، و لم يكن يقبل خدمة أو تبرعاً مالياً ممن كان يريد قضاء بعض حاجاته الشخصية من غير أن يساهم فى عمله و يساعده فى نشاطاته ، و لما دنا أجله ملك عليه عمله هذا فكره و مشاعره فلا يقر له قرار فى أى جلسة و فى أى حلقة من حلقات المذاكرة والتعليم وحتى أثناء تناول الطعام إلا أن يبلغ دعوة الاسلام ، و يبين مبادئ الدعوة وأسسها و منافعها و الضرورة إليها وهكذا ، و إنه - رغم ضعفه المتزايد - كان يراقب كل عمل و يلاحظه مضطجعاً على فراشه إلى آخر يوم من أيام حياته .

قبل أيام من وفاته فى يوليو ١٩٤٤ م قيد أحد أصدقائه - أثناء إقامته بنظام الدين - فى مذكرته ما يلقى الضوء على الأيام الأخيرة من حياته ، إنه يقول :

« فى زاوية من زوايا المسجد كانت حجرة الشيخ إلياس ، و كان يجلس على سرير مستنداً إلى وسادة ، مغطياً جسمه باللحاف ، و كان وجهه يشرق و يشع رغم أن الهزال قد بلغ به إلى أن بدت العظام ، و على مقربة من

سريره كان يجلس الطبيب على الأرض ، فلما وصلنا سلمنا على الشيخ إلياس ، و جلسنا لتناول الطعام وكان عـــددنا يتراوح بين ثلاثين و أربعين شخصاً ، فقال الشيخ إلياس أثناء تناولنا الطعام :

« إخوانى ! إن الله - عز و جل - يرحم عباده المؤمنين رحمة خاصة ، و لكنه يرحم أولئك الذين يكفرون به كذلك ، فاذا كانت رحمته على الكفار أيضاً ، فكم تكون رحمته و لطفه بعباده المؤمنين ، إخوانى ! إن خدمة المسلمين و التعاون معهم ، و خدمة الكافرين و إعانتهم أمارة من أمارات حب الله والاخلاص له ، إننا قد ابتعدنا عن طريق القرآن وطريق محمد - عليه الصلاة و السلام - كثيراً ، يجب أن نتأكدوا من أنه لا يمكن القضاء على الشرور السائدة فينا بالتنديد بها و الانتقاد عليها فحسب ، يجب أن تشيدوا و تنوهوا بكل من يستحق المدح و لو كان فيه صفة واحدة من الصفات الحسنة النبيلة ضحوا بكل نفيس و غال ، و ضحوا بالحياة كذلك فى سبيل هـــذا العمل ، وستنالون جزاء عملكم عند الله فى الحياة الآخرة ، جزءاً كاملا وفاقا ، واعلموا أنه لابد فى هذا الطريق من احتمال شدة الجوع و ألم الظمأ ، و يجب أن تستعدوا حتى لاراقة دمائكم » .

« يتبع »

إقتصادنا في ضوء الإسلام

بحوث

أمور أساسية عن الاقتصاد الاسلامى و إطاره العام

[الحلقة الثالثة]

الأستاذ محمد طاسين (باكستان)

تعريب : الأستاذ نورعالم الأمينى

« عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى سفر ، إذ جاء رجل على ناقــة له فجعل يصرفها يميناً و شمالا ، فقال رسول الله ﷺ : من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، و من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، حتى ظننا أنه لا حق لأحد فى الفضل (١) »

و ما جاء فى أمثال هذه الأحاديث الشريفة من الأمر بانفاق الفضل من المال فى سبيل الهدى و الخير ، ليس أمراً إيجابياً قانونياً ، بل إنما هو أخلاق مندوب ، يدل على ذلك الواقع الذى كان يعيشه أصحاب النبى ﷺ ، فقد كان عند كثير من هؤلاء - رضى الله عنهم - مال فائض عن الحاجــة ، ظلوا يملكونه و يتمتعون به مــدة حياتهم ، ثم انتقلوا إلى رضوان الله و خلفوه ، فورثه ورثتهم ، فلو كان عدم بذل الفضل من المال نوعاً ما من الاثم ، وإنفاق كل ما يملكه الانسان واجباً ، لنالهم سخط من النبى ﷺ ، ولآخذهم على ذلك ، ولكن لا نعرف حديثاً يرمز إلى ذلك ، بل على العكس من ذلك تدل الأحاديث العديدة على أن الصحابة الذين أنفقوا بعض ثروتهم الفائضة عن الحاجة واستبقوا

(١) صحيح مسلم ، ج ١٢ ، ص ٢٣ .

بعضها ، حتى ورثه ذووهم بعد وفاتهم ظلوا يتمتعون برضى النبى ﷺ ، فقد جاء فى حديث أن سعداً لما أراد أن يتصدق بماله كله فنصفه ، نهاه النبى ﷺ عن ذلك و أذن له فى الوصية بالثلث ، وقال ﷺ مؤكداً : « إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس (١) » و هذا الحديث صريح الدلالة على جواز ادخار المال الفائض .

أما مثال النوع الثانى - أعنى التعاليم الاقتصادية القانونية المباشرة - فى القرآن الكريم فأولا تلك الآيات التى تتضمن أحكام الزكاة المفروضة ، وثانياً ، تلك الآيات التى تشتمل على بيان النفقات الواجبة على الأقرباء بحكم القرابة ، كنفقة الأولاد على الوالدين ، و بالعكس ، أو كنفقة المرأة و مهرها على زوجها ، و ثالثاً : هى الآيات التى تنطوى على ذكر قوانين و أحكام الوصية و الوراثة ، و رابعاً : هى الآيات المشتملة على بيان أصول التجارة و البيع والشراء و الاستيجار ، وخامساً : هى الآيات التى تنهى عن الأكل بالباطل ، و القمار ، و الربا ، و السرقة ، و الخيانة ، و الرشوة ، و ما إلى ذلك .

و مثال هذا النوع فى السنة النبوية ، تلك الأحاديث التى تتصل بهذه الأمور المذكورة أعلاه ، من الزكاة ، والمهر ، والنفقة ، والوصية ، والوراثة ، و التجارة ، و البيع و الشراء ، و الأجرة ، والربا ، و القمار ، والسرقة ، و الخيانة ، و الرشوة ، والبخس و التظفيف ، وما إلى ذلك .

و أصل النوع الثالث من التعاليم الاقتصادية ، فى القرآن الكريم ، تلك الآيات التى تدل على أنه إذا لم يكن مزحل عن أحد السيئين ، الصغير والكبير ، فانما يؤخذ بالصغير أخذاً مؤقتاً ، تفادياً من الكبير ، و بعبارة أخرى : إذا

(١) رواه البخارى و غيره من رجال الحديث بطرق عديدة ، وألفاظ مختلفة .

لم يمكن الخير والصلاح كاملين لعدم ملاءمة الظروف و فوضوية الأوضاع . فهناك يجوز الاقتصار على ما يمكن من الصلاح مع الاستمرار فى بذل المحاولات على حصول الأكثر فالأكثر .

فمثلا : إذا أشرف الانسان على الموت من الجوع ، و لا يجد ما يعصم به نفسه من الهلاك مما أحله الله ، إلا الحرام الذى يضر و يكسبه إثماً ، فعندئذ هو مسموح بأكل ذلك الحرام - الذى هو أخف إثماً - تفادياً من الهلاك - الذى هو أشد من الأول من وجوه عديدة ، فان الانسان فى هذا الموقف مضطر فلا يأثم من تناول الحرام إذا أصاب منه مستحرماً إياه و على رغم منه ، و لم يصب منه إلا قدر الكفاف لا وكس و لا شطط ، و من أمثال هؤلاء الآيات هذه الآية التالية :

« إنما حرم عليكم الميتة ، و الدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١) »

و الآية الكريمة و إن كانت صريحة واضحة فى تحريم أشياء متعددة ، مما يتضح أن تلك الأشياء المحددة محظور استعمالها على المسلمين ، إلا إذا كان أحد مضطراً ، فهناك يجوز له استخدامها بالشرطين المذكورين أعلاه ، لكن الدراسة الواعية الممعنة للآية تدل على أنها تشير إلى مبدء كلى ، وهو أنه إذا كان لا بد من ارتكاب اثم صغير للتفادى من اقتراف اثم كبير ، فارتكاب الأول مسموح به ، و مرضى عنه عند الله ، و بما أن الأحكام المؤقتة تعنى الأخذ بالصغير من الاثم للتحاشى من الكبير ، فأمثال هذه الآيات القرآنية تدل على جوازها .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٣ .

ويمكن بهذه المناسبة تقديم تلك الآية التى تحرم من الربا أولا أشنع صوره وهى صورة « أضعاف مضاعفة » كمثال جزئى للنوع الثالث من التعاليم الاقتصادية ، فقد صرح المفسرون الكرام بأن الآية التى نزلت أولا بشأن تحريم الربا هى ما منعت منه نوع « أضعاف مضاعفة » و هو أبشع أنواع الربا الشائعة فى المجتمع العربى لدى نزول القرآن ، و أكثرها ضرراً ، و أخبثها ظلماً و غمطاً للحقوق ، ثم نزلت الآية التى حرمت الربا تحريماً مطلقاً شاملا ، بجميع أنواعه وأشكاله ، و أعلن النبى ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع هذا الاعلان الصارخ المؤكد : « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية فهو ممنوع فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون » .

على كل فمن الواقع أن تحريم الربا تحريماً قانونياً إجبارياً مطلقاً إنما كان فى سنة ٩ ﻫ ، و قد اعتبر رجال التفسير آيات تحريم الربا من أواخر الآيات القرآنية نزولا ، و ظل المسلمون يتعاطون الربا من قبل نزولها ، ولم ينهوا عن المعاملات الربوية إلى هذه السنة المذكورة ، فان النهى عنها من قبل كان متصادماً مع موقفهم تصادماً شديداً ، و بذلك فلم يمنعوا عن الاثم الصغير تفادياً من الاثم الذى كان أكبر منه بكثير .

و مثل ذلك كان فى خصوص المزارعة و كراء الأرض ، فالأحاديث تقول إن النبى ﷺ ، لما هاجر إلى المدينة المنورة وجد أهاليها يمارسون ذلك بصورة عامة و بأساليب متنوعة ، و بقى المسلمون كذلك يتمتعون بذلك حتى نزل تحريم الربا فمنعوا منهما معاً ، نعم قد تم النهى من ذى قبل عن بعض أنواع المزارعة و كراء الأرض التى كانت تؤدى إلى النزاع و الخصام بما كانت تنطوى على الجهل و عدم التحديد ، وجملة القول : إن الأحاديث التى تتصل

بتحريم المزارعة و كراء الأرض يمكن تقديمها كمثال للنوع الثالث من التعاليم الاقتصادية .

ومثال هذا النوع من التعاليم الاقتصادية المؤقتة أيضاً ذلك الحديث النبوى الشريف الذى جاء فيه أن المسلمين مرة فى غزوة من الغزوات واجهوا نقصاً فى الزاد و المؤنة ، و فتشوا فوجدوا أن لدى بعضهم شيئاً من الأزودة على حين لم يكن عند كثير منهم شئ يأكلونه ويسدون به رمقهم ، فأمر النبى ﷺ بالمناداة ، فنادى المنادى أن يجمع كل من عنده شئ مما يؤكل فى مكان كذا ، ثم دعا النبى ﷺ بالبركة ، ثم أمر أن يأخذ منه كل حسب حاجته ، حتى أخذ منه كلهم قدر ضرورته ، و هذا الحديث ساقه الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الشركة ، وأعقب الحديث بأثر خلاصته أنه صنع مثل ذلك أبو عبيدة ابن الجراح حين رأى أن المجاهدين ينقص بعضهم المؤنة و الزاد ، فاستجمع كل ما لديهم ثم وزعه عليهم جميعاً على السواء ، و إنما ساق البخارى هذا الأثر ليوضح أن ما صنعه النبى ﷺ لا يختص بشخصه الشريف وحده ، بل هو أسوة عامة و سنة للأمة جميعاً يمكنها أن تستن بها ، و لتستهديها فى حياتها عبر الأجيال ، فلو كان ذلك خاصاً بشخصه ﷺ لما صنع هذا الصحابى الجليل ما صنع ، ثم أورد البخارى حديثاً قولياً صارخ الدلالة على أن هذا العمل كان مرضياً عنه لدى رسول الله ﷺ جداً ، حتى كان يحب أن ينهجه المسلمون كلما يواجهون أمثال هذه المواقف ، و إليك هذا الحديث : عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال : قال النبى ﷺ : إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو ، و قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى و أنا منهم (١) .

(١) صحيح البخارى كتاب الشركة .

و بما أن حالة الحرب هى حالة طارئة فان أمثال هذه التعاليم الاقتصادية لا تتعلق بالأحوال العادية الطبيعية و إنما بالأحوال الطارئة ، ليس إلا .

و الاختلاف الذى يوجد فيما بين علماء الاسلام فيما يتعلق بالتعاليم الاقتصادية ، أعتقد أن السبب الأكبر فى ذلك هوعدم فهم هذه الأنواع الثلاثة من التعاليم فهماً صحيحاً عميقاً ، و عدم ملاحظة الفرق الذى فيما بينها ، فكثير من الكتاب الذين تناولوا التعاليم الاقتصادية الاسلامية خلطوا فيما بين هذه الأنواع الثلاثة خلطاً أدى إلى التعقيد و الغموض . حتى انتهى الأمر بالبعض إلى أن جعل النوع الأول الذى هو بمنزلة القوانين الأخلاقية و الأوامر المندوبة أصل التعاليم الاقتصادية الاسلامية ، و لم يكترث بالنوعين الثانى و الثالث ، كما قدم البعض النوع الثالث الذى هو بمنزلة القوانين المؤقتة كقوانين اقتصادية حقيقية إجبارية ، و نبذ النوع الأول والثانى وراء ظهره بتأويلات باردة لاتمس الواقع مساً ، واعتبر البعض بعض أجزاء النوع الثانى تعاليم اقتصادية إسلامية مباشرة فى بعض المسائل و القضايا ، و أسقطه من الاعتبار فى البعض الآخر ، و هناك من اقتصر دراسته على القضايا الفرعية والجزئية ، و لم يتعرض للمبادىء والأصول ، و كما أن هناك رجالا تناولوا الأصول منقوصة غير كاملة ، و بعضهم تعرضوا للمبادىء كاملة و لم يتعرضوا للأهداف التى ترتبط بتلك المبادىء ، فتأثرت الجهود التى بذلت بهذا الصدد ، و لم تؤد الأعمال على ما كان ينبغى أن تؤدى ، أعنى أن الحاجة كانت ماسة إلى أن يفرد كل من هذه التعاليم الثلاثة بالبحث و الدراسة ، و أن تحدد تلك الأسس و المبادىء التى يتأسس عليها النوع الثانى والثالث خلال البحث فيهما . و تقدم تلك المبادىء مرتبطة بالأهداف و الغايات المحددة مصحوبة بالاشارة إلى الصورة العملية للزراعة و التجارة و الصناعة . فى ضوء هذه الأسس .

و الأمر الآخر الذى أريد أن أذكره فى هذا المقال هو ما ذا يجب أن نصنعه فيما يتصل بالنظام الاقتصادى الاسلامى ما هو المستوى الذى نراعيه وما هو الأسلوب الذى نتخذه . أما أنا بدورى فقد توصلت بعد تأملات طويلة و دراسة واعية إلى أن النظام الاسلامى للاقتصاد بأمس حاجة إلى العمل فى المجالين العملى والنظرى . وأعنى بالنظرى استنباط الأصول الكلية العامة التى هى أساس القوانين الاقتصادية من الكتاب و السنة ، و ذلك بدراسة ذات إمعان و تعمق ، و لا بد فى تحديد هذه الأسس وضع الأهداف الاقتصادية فى عين الاعتبار ، الأهداف التى من أجلها وحدها تم اقتراح هذه التعاليم الاقتصادية ، و إلى تحقيقها و الحصول عليها ترمى تلك التعاليم . و تلك الأهداف الاقتصادية كما فهمته أنا فى ضوء معلوماتى المتواضعة و فهمى القاصر ، هما أمران - كما أطلت عليه الكلام فى السطور السالفة - الأول أن لايكون أى فرد فى المجتمع محروماً من الحوائج الاقتصادية الأساسية اللازمة ، أعنى ، أن يتيسر لكل عضو من أعضاء المجتمع على كل حال مايحتاج إليه من ضرورات المعاش ، و الثانى هو تكافؤ الفرص لكل الأفراد ، أعنى أن تتوفر لهم فرصة كسب الأموال و الأمتعة زائدة على الحاجة ، و لا ذنب على المجتمع سواءاً انتهزها الأفراد و استغلها أو لم يستغلوها . و أعتقد أن النظام الذى يتكفل للمجتمع هذين الأمرين ، هو النظام الأفضل الصالح العادل ،

وعلى كل إذا كان ما ذكرته بشأن الأهداف الاقتصادية الاسلامية ، صحيحاً فلابد من ملاحظة هذين الأمرين . الاقتصاديين الأساسيين المذكورين أعلاه لدى تعيين الأصول الاقتصادية الاسلامية العادلة ، و معنى ذلك أن يؤخذ من مفاهيمها ما يتفق و هذين الهدفين ، و تطبيقه يؤدى إلى تحقيقهما ، ولا حاجة

فى هذا التحديد إلى النظر فيما إذا كان المجتمع يقبل هذه الأصول أم يرفضها و أن الأوضاع الاجتماعية العقلية و الخارجية الراهنة تتصادم مع هذه الأصول أم تتوافق و تنسجم ، نعم لابد من الوضع نصب العينين أنه إذا تم تطبيقها و عم العمل بها فهل يتوفر لكل أعضاء المجتمع الأمران السالفان أولا ؟ و لذلك فعبرت عن هذا العمل بالنظرى ، و لكن لابد من الاشارة الواضحة إلى أنه ماذا تكون صور الزراعة و التجارة و الصناعة فى مثل هـــذا النظام الاقتصادى الذى تشكله تلك الأصول و المبادىء . فان الرجل العادى لا يطلع على الواقع فى ضوء الأصول النظرية وحدها ، وإنما يتفهمه بالتفاصيل العملية للأصول و بها وحدها يقدر مدى إفاديتها و مصلحتها .

فاذا تم تحديد هذه الأصول تتعرض هى مرتبطة فيما بينها ارتباطاً عقلياً ، و بحيث تتطابق مع النظم الاسلامية الأخرى للحياة تطابقاً كاملا .

و بهذه القوانين و الأصول الاقتصادية الاسلامية المؤسسة على العدل الكامل نستطيع أن نؤكـــد فضل النظام الاسلامى للاقتصاد على النظامين الاشتراكى و الرأسمالى ، و بذلك وحده يمكننا أن نحول بين شبابنا المثقف الذكى و بين ارتمائهم إلى أحضان الاشتراكيـة ، أولئك الذين إنما يقبلون على الاشتراكية بحكم نظامها الاقتصادى وحده ، و على ذلك فنحن بأمس حاجة إلى أن نقدم هذه القوانين الاقتصادية الاسلامية تقديماً عملياً ، فانها أفضل بكثير و كثير و أجدى من النظامين الاقتصاديين الاشتراكى و الرأسمالى .

و لا يغيبن عن البال أن هذه القوانين الاقتصادية للاسلام المؤسسة على العدل الكامل لا يمكن تطبيقها تطبيقاً شاملا مثمراً حتى يتم إعداد المناخ على المستويين النفسى والخارجى ، والمراد من المناخ النفسى ذى النوعيـة الخـاصة ،

ذلك الشعور الشامل العالمى الواسع المدى الذى توجده العقائد الايمانية وتنمو وتحيا و تتغذى بالعبادات الاسلامية ، و الذى يشكل سياجاً حـــديدياً بين الانسان و بين الظلم و هضم الحقوق ، و يبعثه على العطف و الحدب و الانصاف و العدل مع أخيه الانسان ، أما المراد من المناخ الخارجى الخاص ، فهو تحرر المجتمع و استقلاله سياسياً ، و اكتفاؤه بذاته اقتصادياً ، حتى يتمكن من معالجة شؤنه الاقتصادية و السياسية ، على ما يريد و كيف ما يشاء ، و لايكون فيـــه نفوذ لأى مستعمر كافر سياسياً أو اقتصادياً ، و لا يكون لديه معيار الفضل و العز و الشرف هو المال و الثروة ، بل البر و التقوى ، و لذلك فيوجب الاسلام على أبنائه أولا أن يقوموا بتبليغ و تعليم العقائد الايمانية حتى يتكون الشعور الايمانى والوعى الاسلامى المطلوب فى الأذهان ، ولكى يبقى هذا الشعور حياً نامياً يعمل عمله ، لا بد أن يؤكدوا على العبادات من الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة و ما إليها ، و يوجب عليهم ثانياً أن يتخذ الوسائل التى تعينهم على الاستقلال السياسى و الاكتفاء الاقتصادى ، ثم أن يقيموا فى نظامهم الرسمى بيت المال الذى يقدم المساعدة المالية إلى العجزة والمحتاجين و الزمنى ، و أن يبذلوا الجهد — فى ناحية ثالثة — على إيجاد الجو الاجتماعى الذى لايتخذ مستوى الشرف و العز هو المال و الثروة و الأثاث ، و الأمتعة ، و إنما هو الايثار و الاحسان و التقوى .

و من الواقع الذى لا ينكر أن المجتمعات الاسلامية اليوم تفقد فى كل مكان ذلك الجو الذهنى و الخارجى الذى لا بد من وجوده لتطبيق و تنفيـــذ النظام الاقتصادى الاسلامى الحقيق القائم على العدل الكامل و لبقائه واستمراره فى العمل و التأثير ، و عندئذ فليس لنا سبيل إلا أن نضع النظام الاقتصادى

الاسلامى الحقيقى المثالى نصب أعيننا كهدف أساسى وغاية أخيرة أصيلة ، ونخطو إلى الحصول عليه خطوة مرحلية عن طريق خطة عملية مؤقتة ، ولذلك فالعمل الثانى الذى يجب علينا أن نقوم به دون أى تأجيل ، هو أن نستعرض استعراضاً شاملا حقيقياً الجو الذى نعيشه اليوم ذهنياً وخارجياً حتى نتخذ إزاء ذلك خطة اقتصادية مؤقتة يمكن العمل بها و تنفيذها فى الظروف الراهنة ، وتقلل من الظلم السائد فى المجتمع ، و تدفعنا إلى الغاية المنشودة مع استمرار .

و لا شك أننا نحن المسلمين - مع الأسف - نعيش أوضاعاً ذهنيـــة و خارجية أسوأ من الأوضاع التى تعيشها الأمم غير الاسلامية - لأسباب تاريخية ترجع إلى قرون ، فمثلا قد تعودنا منذ زمان أن نفكر فى القضيـة فى نطاق المصالح الشخصية أو الحزبية أو العائلية الضيق المحدود ، و تنبذ وراءنا ظهرياً المصالح الاجتماعية و القومية إذا كانت تتعارض مع تلك المصالح فى قليل أو كثير ، أما الأمم الأخرى . فان لديها شعوراً وعناية كافية بالمصالح الاجتماعية و القومية ، حتى تفضلها على كل أغراض ذاتية و منافع شخصية ، و لا يعوقها عن ترك مصالحها الشخصية عائق إذا كانت تتصادم مع المصالح القومية العامة ، و كذلك فالمسلمون اليوم أضعف كثيراً سياسياً و اقتصادياً من غير المسلمين ، فالدول الاسلامية المستقلة أيضاً تابعـــة فى مواقفها الدبلوماسية الدولية للدول الكبرى الكافرة ، كما أن هذه الدول الاسلامية مكرهة - بحكم ضروراتها الحربية و الدفاعية إلى أن تعقد مع تلك الدول الاتفاقيات على ما تشاء هى ، وليس ينتهى الأمر إلى ذلك فحسب ، بل إن عملات المسلمين تابعـــة لعملات تلك الدول ، و يحتاجون إليها فى حوائجهم الغذائية و مواد التموين ، كما يحتاجون فى المصنوعات والمنتوجات والمخترعات ، و من ثم فان الخطة الاقتصادية المؤقتة

التى نتخذها نحن فى الأوضاع و الملابسات الحاضرة من المؤكد أنها لا تكون أفضل مما يتبعه الأمم غير الاسلامية اليوم من خطط اقتصادية ، فان الأوضاع و الأحوال التى لاحظوها فى اتخاذها تختلف اختلافاً كثيراً عن أوضاعنا ، فمن الواجب أن نعلن إعلاناً واضحاً أن ما اتخذناه من الخطة الاقتصادية المؤقتـة لا تتأسس على مبادئ الاسلام الاقتصادية الحقيقة فلا يحكمن أحـــد - على أساسها - إيجاباً أو سلباً عن نظام الاسلام الاقتصادى الحقيقى ، فان هـــذه الخطة الاقتصادية إنما اتخذناها مؤقتـة على الرغم منا ، من أجل الأوضاع التى نمر بها نحن ، و سوف نغيرها فور تغير الأوضاع ، و إلى جانب ذلك يجب أن نوضح للناس نظام الاسلام الاقتصادى الذى وضعناه نصب أعينا كنموذج مثالى ، و الذى نحن عازمون على تطبيقـــه على الفرد و المجتمع و الحياة فى يوم من الأيام .

و هذا الاعلان سيكون حاجزاً سميكاً بين الناس و بين سوء الفهم أو سوء الظن بشأن النظام الاقتصادى الاسلامى ، فلا يسعهم أن يقولوا : إذا كان النظام الاسلامى للاقتصاد ما تدل عليه هـــذه الخطة الاقتصادية ، و إذا كان الاسلام يريد تحقيق ما فى هذه الخطة فان دعوى المسلمين بأن النظام الاسلامى الاقتصادى أفضل و أصلح من جمع النظم الاقتصادية الغير الاسلامية كذب أى كذب ، و دعوى لا تقوم على أساس ، فما هى المزايا التى يستأثر بها هذا النظام الاسلامى دون غيره ؟ بل نجد أن الخطط الاقتصادية التى تتبعها وتتبناها الدول الاشتراكية و الرأسمالية أفضل وأجدى من ذلك بكثير ، وقصارى القول أن عدم هذا التصريح سيتيح لأعداء الاسلام أن يثيروا شبهات ضد الاسلام ، ثم إن هذا التصريح يكشف القناع عن الواقع لعامـــة المسلمين و دهمائهم ،

فلا يستمرون فى الالتزام بتلك الخطة طول مدتهم ظناً منهم بأنها الخطة الاسلامية الحقيقية . بل يضربونها عرض الحائط ، حين يحين الأوان ويؤاتى الزمان .

و أخيراً فانى لم أجد و لا كتاباً واحداً - إلى حد استقرائى وتتبعى - يتناول الموضوع - النظام الاقتصادى الاسلامى - على الطريقة العلمية التى أبنتها فى السطور السالفة ، و أوضحت و ركزت على الحاجة إلى اختيارها ، و لا أنكر ما يصحب هذا العمل من صعوبات و لكنه على كل حال ليس مستعصياً و لا مستحيلا ، فلو نهضت لذلك مؤسسة علمية مخلصة النية ، صادقة العزم ، و بدأت العمل متوكلة على الله العلى القدير لسوف يكون النصر حليفها والنجاح قرينها ، بيد أن هذا العمل الجليل سوف لا يتم إلا بجهود جماعية من العلماء الذين يتمتعون بالتعمق والتبحر فى علوم الكتاب و السنة مع الاطلاع الواسع على علوم الاقتصاد الجديدة و نظمه الحديثة بالاضافة إلى المؤهلات الكافيـــة للاستنباط و الاستخراج مع ثقوب البصيرة و تنور الفكر و تفتح العقل ، وسعة الأفق ، و علو المدارك ، و لا يقلدون أحداً تقلداً جامـــداً أعمى ، و لا شك أن أمثال هؤلاء العلماء يندر وجودهم و لكن ليسوا معدومين ، و سيتم هذا العمل فى يوم من الأيام ، و الله من وراء القصد ، و هو نعم المولى و نعم النصير .

جوانب مهمة للاقتصاد فى الاسلام

سعيد الأعظمى الندوى

أدو أن أشير بايجاز إلى بعض الجوانب المهمة للاقتصاد الاسلامى وأبرز بعض ملامحه بازاء النظريات الاقتصادية الأخرى التى تبدو من بعيد «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، و وجد الله عند فوقاه حسابه ، و الله سريع الحساب » .

يشجع الاسلام الاكتساب و العمل ، و يقرر له أصولا و مبادىء وحدوداً ومعالم ، لئلا يطغى جانب على جانب و لا يحدث اختلال فى الاتزان بين القيم الروحية و المادية إنه يعترف بالملكية الخاصة الفردية و يقرر لهـا حدوداً إذا تجاوزتها تحولت إثما ، و يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى : و هو الذى أنشأ جنات معروشات و غير معروشات و النخل و الزرع مختلفاً أكله ، و الزيتون و الرمان متشابهاً و غير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر و آتوا حقه يوم حصاده و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » و يقول : « كلوا مما رزقكم الله و لا تتبعوا خطوات الشيطان » .

أما الاشتراكية التى لا تعترف بالملكية الخاصة لمصادر الانتاج (Factors of Production) فهى تحارب فى ذلك غريزة الانسان المفطور على حب التملك ، وتكبت فيه نزعة النشاط الاقتصادى الذى هو أساس كل نشاط بعده ، ولكن الاسلام لا يطلق العنان للمالك يصرف فى ملكه كيف يشاء ، بل إنه يعتبر هذا الملك كله لله ، و يعتبر مالكه خليفة الله فى الأرض فيضع له قواعد أساسية

إذا قامت عليها الملكية وتصرفت فى ضوئها تكن مما يرضى به الاسلام و يعده أحسن مال و أطيب ملك « و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم و أنتم تعلمون » « الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سراً و علانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم و لا هم يحزنون » .

ويوجه إنذاراً شديداً و وعيداً كبيراً إلى الذين يدخرون المال ويعتبرونه ملكهم الخاص و لا يرون فيه حقاً لأحد فيقول : « الذين يكنزون الذهب و الفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

و لننظر كيف ينظم الاسلام حق التصرف فى الملكية الفردية :

الملكية الفردية لا تنحصر فى النقود و الأموال فقد يملك الانسان أموالا و قد يملك زراعة أو صناعة أو معدناً ، كما يمتلك أحياناً ثروات أخرى من الحيوانات و الماشية و ما إلى ذلك من مصادر الانتاج ، و الاسلام يراقب عليها مراقبة دقيقة و يشرف على هذه الناحية فلا يترك المرء تستولى عليه نهامة جمع المال و تكديس الثروة دون استعمالها فى مواضعها و إنفاقها فى وجوهها ، و لذلك حرم الاسلام احتكار المال و الثروة و إبقاءه محصوراً عاطلا لايثمر و لا يستثمر و لا يعود عليه و على المجتمع بخير .

كما يشنع الاسراف و التقتير أو إنفاقه فى غير محله مما لا فائدة فيه ، لأن فائدة المال ليست فى التبذير فان التبذير معناه إنفاق المال على غير قصد وتبديده والتقتير معناه التضييق فى النفقة بحيث تختنق الحوائج فى الصدور على رغم

أن المال موجود متوافر ، وكل واحد من الاسراف والتقتير يحول دون وصول الحق إلى ذوى الحقوق ، ويقضى على وجوه النشاط الاقتصادى ، ويضر بالمصالح الجماعية التى يحرص عليها الاسلام ويعتبرها دعامة أقوى فى بناء المجتمع الأفضل ، و إلى هذا المعنى يشير القرآن بقوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما » .

ثم يطلب الاسلام من صاحب المال أن لا يستبد بماله و لا يخصه بنفسه و مصالحه بل ينظر إلى الحقوق التى تعود عليه و يوفيها برحابة صدر « و آتوهم من مال الله الذى آتاكم » « و أنفقو مما جعلكم مستخلفين فيه » و يوجه الويل و الاستنكار إلى من جمع المال و عدده فيقول : « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا و عدده يحسب أن ماله أخلده » و يمنع عن كل تصرف يلحق الضرر بغيره أو يعتدى على المصالح الفردية و الجماعية كالربا و الاحتكار و ما أشبههما ، و فى الحديث « لا ضرر و لا ضرار » .

و كل تعامل يفضى إلى الاضرار و غمط الحقوق يعتبر عدواناً على التشريع الاسلامى ، و إيذاناً بالحرب على الاسلام ، و لذلك يعير الفقهاء هذا الحديث أهمية كبيرة و يجعلونه مبدءاً يعتمدون عليه فى وضع القاعدة العامة التى تحفظ المجتمع من جميع أنواع الضرر ، و تصون كيانه عن الانهيار و تعيد إليه الاتزان و الاستقرار .

فلما كان المال ليس إلا ملكا لله فى الحقيقة و هو يقدر فى كل لحة أن ينتزعه من صاحبه يجب على كل من رزق ملكا خاصاً أن يتذكر الحقوق التى لا يتزكى المال بدون أدائها ، و هى الزكاة .

و الزكاة : هى العمود الفقرى فى تزكية المال و تبرير الملكية الخاصة ،

لأن صاحب المال إذا أدى زكاة ماله فكأنه أدى ما عليه من حق واجب فى ماله ، و بذلك يطيب المال و يسيغ له أكله .

و الزكاة هو الركن الثانى من الأركان الأربعة فى الاسلام ، « فان تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » و فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » والنصوص الصريحة فى هذا الباب كثيرة معلومة » .

و تحتل الزكاة ركناً مهما من أركان الاسلام لأنها حق الله المعلوم فى مال عبده المسلم يؤديه إذا بلغ النصاب و حال عليه الحول فان امتنع عن أدائها فقد أنكر ركناً كبيراً و تخطى الحد الذى قرره الاسلام و أعلن حرباً على الدين و فارق جماعة المسلمين ، و على الامام أو الخليفة أن يقاتل من أنكر ذلك ، فرداً كان أو جماعة ، كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى عهده و قال : و الله لو منعونى عناقاً و فى رواية عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة » (١) .

لا يدعى مجتمع من مجتمعات العالم أنه بمعزل عن الفقراء و المحتاجين أو أنه لا يمسه شئ من الفقر و الحاجة و الضر و كل فرد فيه متكفل بنفسه لا يحتاج إلى غيره فى أى مرفق من مرافق الحياة و كل عضو من أعضائه غنى يتوافر لديه المال و المتاع ، لا أعتقد أن يدعى بهذه الدعوى مجتمع فى هذا العالم المادى مهما بلغ من السعادة و الثراء و من الرخاء و السراء مبلغاً كبيراً

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١١ .

فان ذلك يخالف طبيعة هذا العالم المادى ، و يعارض نظام المعيشة الذى وضعه الله سبحانه و تعالى للناس فقال : « و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » .

إذن لابد من نظام مالى يتكفل الفقراء و المساكين و ذوى الحاجة الذين هم جزء من أجزاء المجتمع وهو مسئول عن سد ضروراتهم من الطعام و اللباس و السكنى بدون أن يشجعهم على التزام الفقر و البطالة و القعود عن العمل ، و إنما لكى لا يتنعم الأغنياء و أصحاب الثراء و الأموال على حساب الفقراء والبؤساء « كى لا يكون دولة بين الأغنيا منكم » و بذلك يتم بر انسان بانسان مثله ، و يجد دافع الايثار و المواساة والمساواة سبيلا إلى القلوب ، ويكون الانسان قد حسب لقول الرسول ﷺ حساباً كبيراً : ما آمن بى من بات شبعان و جاره جائع إلى جانبه و هو يعلم (الطبرانى) .

و لذلك كانت الزكاة هى النظام المالى المفروض من الله ورسوله على المسلمين « توخذ من أغنيائهم و ترد على فقرائهم » عن طريق بيت المال إذا كانت الدولة إسلامية أو بصورة النقد و العين رأساً إذا لم يكن للمسلمين بيت للمال و كانت الدولة التى يعيشون فيها غير إسلامية .

إن الاسلام لايحبذ الفقر و الحاجة ، أو بتعبير آخر لا يشجع نزعة الافتقار و الاحتياج و مد يد السؤال والتكفف و لكن الفقر والغنى وصفان فى طبيعة المجتمع ركبهما الله فى الحياة الاجتماعية لمصالح إلهية خاصة ، حتى يكون بعضهم لبعض ظهيراً ، و ليختبر الله سبحانه و تعالى عباده « و يبلو بعضهم ببعض » و ليكون الغنى دائماً على حذر من الفقر و الفقير يتمنى الغنى ، فلو كان الناس كلهم أغنياء أوكلهم فقراء لم تكن للغنى عبرة بحياة الفقير ولم يكن للفقير

حياة الغنى ، و لم يقو اتصالهما بالله سبحانه و تعالى و لم تظهر عليهما آيات قدرته بل وكان الأغنياء يعيشون فى نوع من التكبر و التمرد و الفقراء فى نوع من مركب النقص والشعور بالهوان ، و اختل الاتزان فى المجتمع ، وسارعت إليه الفوضى .

والتاريخ الانسانى لا يخلو من أمثلة كثيرة للأغنياء الذين شمخت أنوفهم و انتفخت أوداجهم ، أمام الفقراء فأخذهم الله أخذاً شديداً و انتزع عنهم مالهم و غناهم و تركهم فقراء يذوقون لباس الذل و الخوف ، و كذلك الفقراء حينما شكروا الله سبحانه و تعالى فى حالهم من الفقر و الفاقة ، وحمدوا الله على كل حال بدل الله فقرهم غنى ، و خوفهم أمناً .

أما من يرمى الاسلام بتشجيع الفقر و يبرهن على ذلك بالزكاة فانه كذاب يعادى الاسلام و يحتقر المسلمين ، والاسلام يأبى أن يعير لقوله قيمة و يقيم لبذائة وزنا ، فضلا عن أن يجيبه أو يرد على قوله ، «سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً ».

و الحكمة فى مشروعية الزكاة فى حق صاحب المال و الفقراء كليهما ، و ما شرعها الله إلا فى صالح الانسان و مصالح البشر .

أما فى حق صاحب المال فاشعاره بأن المال فى يده ليس إلا أمانة لله سبحانه و تعالى يفرض فيها نصيباً معلوماً للفقراء ، و هو سبحانه قادر فى كل حين أن يسترد أمانته .

و هو عند ما يخرج زكاة أمواله فكأنه أدى عبادة كالصلاة و الصيام ، و استحق أضعافها عند الله تعالى ، « و ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً و أعظم أجراً » و حينما وصل مال الزكاة إلى أيدى

الفقراء و ذوى الحاجة فقد أدى واجباً اجتماعياً كبيراً ، و حقق مفهوماً للبر و المواساة .

أما فى حق الفقراء فلكى يتخلصوا من هموم الفقر و الآم العيش الضنك و يلتفتوا إلى وظيفتهم الطبعية ، و واجبهم الأصيل ، و يتصلوا بالروح ويناجوا ربهم ، و يحققوا معنى قوله تعالى «و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون» و العبادة لا تخلص و لا تلطف ما لم يكن الانسان فارغاً عن هموم المعاش و تهيئة الرزق و الطعام .

فكثرة المال و قلة المال ، و مستوى الترف و مستوى الشظف كلا الجانبين يلهيان الانسان عن وظيفته الأصيلة التى خلق لأجلها ، هذا يلهيه تكاثر المال و تعداده ، وذاك يلهيه البؤس والفقر ، فكان من حكمة الله تعالى أن يخفف وطأة التكاثر باخراج نصيب من المال من يد الغنى و يخفف وطأة الفقر بتوجيه قسط من المال من الغنى إلى الفقير . حتى يعود الاتزان ، ويقبل كل منهما على واجبه و مسؤليته.

ثم إن الزكاة كسر لسورة الشح الذى يغلب على النفس وعلاج للبخل الذى يسيطر على الغنى فى معظم الأحوال « و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » و استعلاء بالنفس عن حب المال و الامعان فيه كما أنها يبعث على تداول الأموال بين الأغنياء و الفقراء على السواء و التداول دليل على استثمار المال و توسيع الانتاج و تحقيق لمعنى قوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ».

أما مصارف الزكاة و ما تجب فيه الزكاة و اختلاف الأئمة و الفقهاء فى تفسير ذلك ، فلا نتحدث عنه فى هذا المقال الوجيز .

دراسات و أبحاث

من أسرار النبوة

الأستاذ شهاب الدين الندوى
تعريب : عبد الله الحسنى الندوى

(٢)

الشمس طباخة :

يحتل الغذاء من حيث الأهمية بعد هذه الأشياء الثلاثة وهى الضياء و الحرارة و الماء ، و قد اتضح بالاكتشافات العلمية أن جميع الأشجار و النبات لا تقتنى غذاءها إلا فى ضوء الشمس ، فان فى أوراق الأشجار من وجهة النظر العلمية ، توجد حبيبات صغيرة خضراء تسمى بكلورو فول (Chloro Foul) وتدعى فى الاصطلاح العلمى كلورو بلاست (Chloro Plast) و هى التى تحافظ على خضرة الأوراق ، هذه الذرات العجيبة تحول الماء « وكاربون وأنى إكسائيد » بعد امتزاجهما من عمل أشعة الشمس إلى السكر و النشا (Carbo Hydrates) و ذلك هو الغذاء الأصيل لجميع الأشجار و النبات بل لجميع الحيوان ، و منها تنشأ الحرارة فى جسم الانسان .

لا يعزبن عن البال فى هذا المكان أن أكثر أجزاء الأثمار و الحبوب تكون مشتملة على كاربو هائيدرت ، و هى تنشأ من الشمس و تنمو بها ويسمى هذا التعامل للشمس فى المصطلح العلمى (Pholosyn Theses) .

« و سخر لكم الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (١) » قد بين الله عز و جل فى هذه

(١) سورة الرعد : الآية ٢ .

الآية الكريمة حقيقة أن طريق العلة و المعلول لم تزل مستمرة فى هذا العالم و أودعت فى مظاهر الفطرة خصائص و مزايا مختلفة و لكنها ليست مستقلة و لا قائمة بذاتها بل إن زمامها الحقيقى عند مدبر هذا الكون ، كما صرح به فى هذه الآية « يدبر الأمر » .

و واضح أن الأسباب والعلل لم تكن ذات شأن و تدبير بل وإزامها ذات عاليـــة تدبر الأمور ، و من هنا يجب أن لا تتورط فى المظاهر الجوفاء و الظلمة الظلماء ، بل إن هذه الأسباب و العلل و الكون كل ذلك قد خلق للانسان ليتعظ به و يتفكر فيه ، و ينشئ فى النظر و الفكر جلاء و نوراً و يمهد الطريق من هـــذه العلل و الأسباب للاتصال بربه الذى نور بضيائه الوهاج العالم كله .

تلك هى من الفوائد الكبيرة التى تتحصل عليها من الشمس غير ما تفيدنا الشمس من الفوائد الكثيرة الأخرى و هى أن الشمس تنجينا من الأمراض الكثيرة

لو لا الشمس لكانت جراثيم المرض تنتشرو تتضاعف و تخرب الأرض الصالحة ، لأن نسبة وجود الجراثيم سريعة و مستمرة و لكن ضياء الشمس تزيلها و تدفعها عن الأرض ، و تحدد عددها و تقللها إلى حد كبير . كذلك فان حرارة الشمس تجـــذب بلل الأرض و رطوباتها التى تكون سبباً للأمراض الكثيرة .

و الجملة أن فى الشمس و نظامها العجيب حكماً و مصالح تقتضى منا الشكر و الحمد لله عز و جل على أنه دبر نظاماً كاملا متزناً بقدرته الكاملة و حكمته البالغة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

سراج الرسالة :

تلك هى حقيقة الشمس و ماهيتها و استعراض لبعض نواحيها و عمليتها باختصار ، و نستعرض الآن عملية شمس الرسالة و ماهيتها ، فمن المعلوم أن الشمس كما تقضى حاجات حياتنا الضرورية المادية كذلك شمس الرسالة تقضى جميع الحوائج الروحية .

و واضح أن الله عز وجل الذى اهتم بحوائج الانسانية المادية هذا الاهتمام وقدرها هذا التقدير ، وهيأ هذه الحوائج ووفرها من غير أن يعرقل سيرها شئ أو يعوق فى سبيلها عائق فكيف يغفل الله عز و جل - مع العطف و الرحمة البالغين على الانسان - من تشكيلها و تهذيب نفوسها ورقيها وتحليتها بالأخلاق الفاضلة و العادات الحسنة « أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين » .

هاتان الآيتان التاليتان تلقيان الضوء على مقاصد الرسالة .

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً (١) » عرض رسول الله ﷺ فيها بصفات خمس :

و هى ١ - الشاهد - ٢ - المبشر - ٣ - النذير - ٤ - الداعى - ٥ - السراج المنير، بين الله فى هذا الموضع صفاته الجامعة لم يبينها فى موضع آخر مثلها ، فتبطل فكرة إنكار الحديث (٢) النبوى الشريف بتعميق النظر فى صفاته هذه أنه لا يكون مرسلا أو رسولا فحسب بل يعلن القرآن الكريم صريحاً و يثبت أنه كان رسولا ، داعياً ، شاهداً بشيراً نذيراً وسراجاً

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٥ .

(٢) مركزهم الأصيل فى باكستان حيث أنهم ينشطون لالغاء الأحاديث النبوية بتنظيم و تنسيق و توجد ميكروبات هذا الداء فى الهند بأقل من باكستان الاسلامية .

منيراً و فيه أسوة حسنة لنا يجب العمل بها و يجب اتباعه ، و لذا قيل فيه فى آية أخرى و توضح منصبه الرفيع .

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة (١) .

اجتمع فيها أمور الرسالة الأربعة :

أحدها - التلاوة ، الثانى : تزكية النفوس ، الثالث تعليم الكتاب ، و الرابع ، تعليم الحكمة .

إذا دققت النظر فيها تجد هذه الأمور الأربعة المذكورة منحصرة فى الصفات الخمس السابقة وتدور حولها و لا تختلف إلا فى الأسلوب و التعبير .

منصب الرسالة :

إذا كان منصب الرسالة يتوقف على حمل الرسالة فقط فتكفى التلاوة ولا تحوج إلى تزكية النفوس و تعليم الكتاب و الحكمة و لكن الواقع أن إحداث الثورة الفكرية و الثورة الروحية أو تغذية الروح و تنميتها فى أمس حاجة إلى تربية موفقة وتدريب شامل ، و لا تكفى المحاضرات وإلقاء الكلمات و عقد المؤتمرات لاحداث الثورة فى العالم وتغيير مجرى التاريخ فى أى وقت لا من قبل ولا من بعد ، إلا بالتزكية التى كانت هدفاً من أهداف لرسالة الأولى ، و كان من منصب الرسول أن يربى أصحابه تحت إشرافه و أن ينزع من قلوبهم حب المال و زهرة الحياة الدنيا ، و يعلمهم منهج لحياة فى الدنيا و طريق العيش كانسان كامل و يهذب نفوسهم و يزينها بالخلق العظيم ، و يعودهم على النظام العادل الشامل ليربوا الأجيال الأخرى على نمطه و يهذبوا نفوسها على طريقته ، « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (٢) ، قد جاء فى هذه الآية لفظ « الشهادة » بأوسع

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٢ . (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

معانيها ، و يدعى الرسول ﷺ فى سورة الأحزاب بشاهد - وهو وصف هام للرسالة - و لذا سماه « بسراج منير » إن ضياءه يبدد الظلام و ينور العالم الروحانى و يحوله إلى بقعة روحانيـــة و ينقذ الانسان من الأخلاق الرذيلة و أمراضها المفسدة و خطاياها الجسيمة كما كانت الشمس تقضى حوائج الانسان المادية ، و واضح أن هذه الغاية لا تتحقق بالرسالة فقط بل تضطر الانسانية إلى التربية و التزكية .

إن مفهوم التزكية الصحيح هو (منهاج مدرب) أعنى به تلاوة الكتاب و تدريب النظريات الكتابية ، و التعاليم النبوية فى العمل و السعى إلى التمرين بأن نصبغ حياتنا بصبغة ربانية خالصة تقوم على أساس الفكرة الأخروية .

والحقيقة أن النفوس عندما لا تزكى تزكية صحيحة ولا تربى تربية روحانية لا تكون القلوب الانسانيـــة و العقول البشرية معمورة بخشيـة الله و مفعمة بالحمية الاسلامية والغيرة الدينية و لا تكون متدفقة بالعواطف الدينية والأعمال الصالحة ، و لا منقادة للأحكام الالهية و الشرائع السماوية ، و لا يمكن أن تساق حياة الفرد والمجتمع إلى الصلاح و تطهر الأعمال من الأرجاس .

و مما لا يخفى أن كل مجتمع فقد الاخلاص و التقوى و حرم العواطف الدينية لا يقدر أن ينهض و يتقدم و ينضم إلى مصاف الملأ الأعلى وكذلك لا تتفتح فيه أزهار الثقافـة و العلم و لا يقتلع شأفـــة المفاسد و الأغراض الفاسدة و لا يستأصل الأهواء و الملذات النفسانية و لا يمنع الأنانية والهمجية و التمرد ، فلا يرتفع مستوى الانسانيـة و لا تنشأ فيها الصفات الملكوتية ، و لا تصلح الأعمال والأخلاق ، فيصعب جداً أن ينشأ مجتمع صالح ، مخلص متوازن .

لا يكون الرجل طبيباً حاذقاً ولا جراحاً ماهراً إذا اكتفى بالكتب

بغير أستاذ أو قائد ، إن مطالعة الكتب و دراستها تحدث ثورة فى الأفكار و الآراء ، و التزكية تحدث ثورة روحانيـــة و عملية فى القلوب و النفوس ، و إن كان الأول يقيم الآراء والأفكار فالآخر يصلح الأخلاق و الأعمال ، و إذا كان الأول يغسل الذهن فالآخر يطهر المجتمع من الأدناس ، و من هذه التزكية تتفتح أزهار الطهارة والسماحة ، و ينمو شجر الاخلاص والتقوى و بها تنهض الانسانية من جديد ، و تؤدى مسؤلية الأمانة الملقاة على كواهلها و تقوم بها أحسن قيام .

الربانية :

إن غاية الربانية هى تزكية النفوس و دفع الأنانية ، و إثارة العواطف فى حب الله و خشيته و عبادته مع استحضاره كما جاء فى الحديث الشريف ، « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » لا يراد بهذه العبادة الصلاة و الصيام فقط بل هى تشمل جميع أنواع العبادة و الرسوم الرائجـة الاسلامية ، أى كل عمل يتعلق بالصلاة و الصيام أو يتعلق بالمعيشة و الصناعة أو يرتبط بأمور الفرد و المجتمع أو يكون له علاقه بالحياة القومية أو بالأمم المتحدة ، يعمل على كل حال فى استحضار صفاته الجليلة واستلهام أسمائه الحسنى موافقاً لرضا الرب سبحانه .

و واضح أن هذا الهدف الجايل لا يتحقق بمجرد الأقوال و الاكتفاء بالتعليق اللفظى على الأحداث و بمتابعة الأخبار ، و لا بتكرار الكتب والمجلات و استظهارها إلا بمنهج تدريبى كما قال شاعر الاسلام العلامة محمد إقبال .

لا خير فى عقل يقتض النجوم و لا يتمتع بحرارة الحب والايمان .

و لو أذعن العقل للتوحيد فلا خير فيه لأن القلب و النظرة ليس فيهما شرارة اليقين و الاذعان .

(يتبع)

فراغ تربوى يجب أن يملأ

(الحلقة الثانية)

محمد الحسنى
تعريب : شفيق أحمد الندوى

أما بالنسبة إلى العلوم والفنون فذوق الطالب يقتضى منا اهتماماً وترجيحاً على كل شئ ، و الأحسن أن يختار الطالب مادة تتفق مع طبيعته فى أيام الدراسة و التعليم ، و يختص فيها بمزيد من المطالعة و الدراسة بعد أن يواظب عليه لسنة كاملة ، باحراز التقدم و التفوق فيها ، و لا يتخرج من إتمام هذه الدراسة إلا كانت لديه شهادة الشعور بالمسؤليـة ، و معرفـة الواجب ، و العادات الحسنة ، و الصدق و الأمانة ، مع شهادة الاختصاص العلمى .

فالطالب الذى يتحرر فى التصرف فى إصلاح شخصيته و إفسادها . ينشأ فيه بالممارسة العملية الثقة بالنفس ، و معرفة الذات ، و الشعور بالمسؤليـة ، و قوة العمل ، يتفوق فيـه على معاصريه و أقرانه ، و يحتل مكانة مرموقة فى قلوب الناس ، و يكون محور الأنظار و العيون ، و هذه حقيقة سافرة ، لا تحتاج إلى برهان .

و ثانياً : أما القول بأن هذه القلة القليلة لا اعتبار بها ولا قيمة فهو قول باطل لأن فرداً واحداً قد يقتدر على تحقيق ما تعجز عنه جماعة وأسرة وكلما يلتحق بشعبة من شعب الحياة كرجل مسؤل يبدو فيها تأثيره و نفوذه وتصطبغ بصبغته و يقوم بنفسه بالأعمال بأحسن طريق لايتمكن من إنجازها وتحقيقها جمع من الناس بناء على تربيته وممارسته أعنى بها المعرفة بالواجب والشعور بالمسؤلية و العاطفة و الروح ، و يحرز ثقـة الناس و اعتمادهم و يعرف قيمة وقته و يستعمله بطريق حسن حتى لا يشعر بالصعوبة فى أى مهمة من المهمات .

فالمعهد الذى يتولى إنشاء مثل هؤلاء الأفراد سواء كانوا بقدر قليل لايخلو من الافادة و النفع ، ولا يتردد أحـد باعتراف فضله ، باضافـة تلك المنافع التى يضمها هـذا العمل فحين يعرف الناس أنه تخرج من معهد و نال شهادته يرجحونه فى كل شعبة من شعب الحياة طبعاً ، وبدأ طلاب المدارس والكليات الأخرى يشعرون بأن إتمام هـذه المناهج السنوية تزيد فى أهميتهم و قيمتهم و يركزون كل اهتمامهم بالاختصاص فى أى ناحية من نواحى التعلم والدراسة و لا بد أن يكون اختيار مثل هؤلاء الطلاب بعد امتحان شديد وتفقد تام ، و ليكونوا نخبة ممتازة بين الطلاب و تتجلى مؤهلاتهم و مواهبهم بممارسة جدية و دراسة عميقة إذا أكملوا سنة واحدة ، و لكن مشكلة خطيرة نواجهها هى توفير المعلمين البارعين ، الذين يتملكون قـدرة تحقيق هذا العمل الخطير ، و لكن فى مجتمعتنا المسلم كفاءات و مؤهلات سوف تحقق هذا الحلم إن شاء الله إذا جندت تلك الكفاءات لهدف واحـد و بتصميم دقيق و عزم راسخ واعتقد أن الأمة الاسلامية لا تندر فيها رجال يتأهلون لهذا العمل .

و فى الختام أقول إن المشكلـة خطيرة صعبة تدعو رجال التعليم النابغين و مسؤلى المدارس و الكليات إلى التفكير بجدية تامة ، و هذا الموضوع يتطلب التفاصيل ، و لكننا اقتصرنا على توجيهات و إشارات و نرجو من الذين لهم علاقة وثيقة بهـذا الموضوع أنهم سيتفكرون فى هـذا الشأن و يقدمون فيه آراءهم و أفكارهم .

أما المدارس و الكليات فتقتضى منا تعجيلا وإسراعاً فى إنجاز هـذه الاجراءات و النشاطات و تنميتها بجد ممكن و محاولة توفير أحوال و ظروف لا ينضب فيها معين الحياة بل يتمتع بالنمو و الأزدهار .

و إن الرسالة العظيمة التى انبعثت لها هذه الأمة تقتضى من شباب العالم أن تكون حياتهم الاجتماعية متحلية بالشعور بالمسؤلية و معرفة الواجب و تنظيم

الأوقات للعمل و الصبر و الصدق و عواطف الخدمة و الأخوة و التضامن لا ينظرون إليها بنظرة الازدراء و الاحتقار .

إن الانحلال الذى تسرب إلى الحياة العلمية لا يمكن القضاء عليه إلا بالحياة العملية و ذلك يتطلب الاستعداد و التيقظ والحياة المنظمة و الأشغال الصالحة ، و إن المدارس و الكليات ستأتى بنتائج مدهشة عندما تتوفر هذه الامكانيات و الوسائل التى يصعب علينا تقديرها الآن ، وأهدافنا السامية تتطلب توفير الحياة الفاضله و الأشغال المفيدة و تنظيم الوقت للعمل و إن الايمان بأن التعليم و العمل بالقوانين و العظة و النصيحة لا تتكفل بفائدة و نفع كلما فقدت عنا هذه الامكانيات العملية و الايجابية .

و من أهم ما يسترعى اهتمامنا هو أن العمل بتعاليم الدين و القيام بأوامر الله سبحانه و تعالى هو الذى يملك قوة و تأثيراً فى تغيير الأوضاع و الاتيان بالنتائج الحسنة المشجعة ، و مما لا شك فيه أن التمسك بالحق فى الأحكام و التعاليم و الاغماض عن الروابط الشخصية فى الامتثال بأوامر الله - وإن كانت فيه خسارة - إنما هو جانب مهم إذا كان رجال المدارس والاداريون و مسؤلوها يعيرون هذا الجانب اهتماماً و اعتناءاً و يظاهرون فيه بالصدق والأمانة والجراءة وذلك يتيسر علينا هذا الجانب ويساعدنا فى إنشاء جوديني نقى إن معناه هو التمسك بأصول الصدق و مبادئ الحق التى يجب على كل مؤمن مراعاتها و إلا فلا تجدينا هذه الشهادات و الأسناد و تبقى البحوث العلمية و المنطقية و التدقيق فيها عقيما جدبا ، و لا يكون لها وزن و قيمة فى عين الله سبحانه و تعالى .

و ندعو الله عز و جل أن تكون هذه السطور مدعاة إلى إيجاد الحركة و النشاطات التى سببت فقدانها فراغاً هائلا فى حياتنا الاجتماعية و نظامها حتى بدأ الشعور بقلة الرجال يزداد بسرعة مدهشة يوماً فيوماً .

نشاطات علمية و ثقافية

سعيد الأعظمى الندوى

★ عقدت جامعة الملك عبد العزيز فى مكة المكرمة المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى فى الفترة ٣١ مارس ٨/ أبريل ١٩٧٧ م ، حضرته وفود من أكثر من أربعين دولة بلغ عدد المندوبين منها ٤٥٠ مندوباً ، و قد رأس وفد ندوة العلماء سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الرئيس العام لندوة العلماء ، وكان برفقته الأستاذ واضح رشيد الندوى رئيس تحرير جريدة الرائد الذى شارك المؤتمر ببحثه عن « نظام الهند التعليمى فى العهد المتوسط » والأستاذ محى الدين الذى قدم فى المؤتمر بحثه عن « المشكلات التعليمية لمسلمى الهند » كتبه باللغة الانجليزية .

أما البحث القيم المهم الذى قدمه سماحة الشيخ الندوى فى المؤتمر فهو بعنوان « التعليم فى المملكة العربية السعودية ، طرق الاستفادة منه ، و ضرورة إزالة العقبات عن سبيله » دار حوله النقاش وأسهم فيه كبار الكتاب وخبراء التعليم و رجال الفكر والعلماء .

كما مثل فى المؤتمر جامعة عليكراه الاسلامية مديرها الأستاذ على محمد خسرو و الجامعة الملية مديرها الأستاذ مسعود حسين خان ، و الجامعة السلفية فى بنارس الشيخ مختار أحمد الندوى نائب رئيسها و الشيخ عبد الوحيد السلفى أمينها العام ، و ذلك عدا ما وجد فى المؤتمر من تمثيلات من بعض المؤسسات التعليمية الأخرى فى الهند .

وقد اتخذ المؤتمر التعليمى توصيات مهمة فى مجال التعليم و التربية ، كلها بأمس حاجة إلى التنفيذ فى أسرع وقت ممكن ، و ما ذلك على المملكة السعودية إذا أراد الله بعزيز .

★ شرف معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية و سعادة الشيخ عبد العزيز فالح عميد كلية اللغة العربية فى الجامعة ، دار العلوم ندوة العلماء بزيارتهما فى ٢٨ / ربيع الثانى ١٣٩٧ هـ ، و بالمناسبة عقدت دار العلوم حفلة ترحيبية بعد صلاة المغرب فى نفس اليوم برئاسة فضيلة الشيخ محب الله الندوى عميد دار العلوم قدم فيها فضيلة الاستاذ محمد الرابع الندوى رئيس قسم الأدب العربى كلمة تحية و ترحيب عن أعضاء هيئة التدريس بدار العلوم ، و رد على هذه الكلمة الضيفان الجليلان رداً كريماً احتوى على كثير من المعانى السامية و العواطف النبيلة ، كما وجها نصائح غالية إلى طلاب دارالعلوم ، وأبديا ارتياحهما بما رأيا فيهم من آثار النشاط والاقبال على الدراسة و الأخلاق الحسنة ، و قد وعد معالى الدكتور بقبول عدد من طلاب دار العلوم فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كتبادل ثقافى و تعاون علمى .

و انتهى الحفل بكلمة شكر و تقدير ألقاها كاتب هذه السطور .

و فى اليوم التالى نظم النادى العربى للطلاب و جمعية الاصلاح لطلاب دار العلوم حفلة ترحيبية برئاسة الأستاذ إبراهيم مطاوع يوسف الأزهرى مبعوث الأزهر الشريف بدار العلوم ندوة العلماء تحدث فيها معالى الدكتور عبد الله التركى و وجه كلمته إلى الطلاب خاصة تناولهم فيها بشتى كثير من التوجيهات

التعليمية التى هى بمثابة أضواء على الطريق و تلت حديثه كلمة سعادة الشيخ عبد العزيز فالح التى كانت حافلة بالآراء و الأفكار المفيدة ، و انتهت الحفلة بكلمة شكر ألقاها رئيس الحفل .

و قد أقامت دار العلوم على شرف الضيفين الكريمين حفلة غداء فى مطعم دار العلوم الرئيسى حضرها عدد وجيه من أساتذة الدار و وجهاء البلد .

و فى المساء غادر الضيفان إلى دهلى و منها إلى الرياض ، فعلى بركة الله فى الحل و الترحال .

★ شرف سعادة الشيخ كامل خليل زغموت دار العلوم ندوة العلماء بزيارته الكريمة فى ٢ جمادى الأولى ١٣٩٧ م و كان سعادة الشيخ قد مثل دولة قطر فى العيد الذهبى الذى أقامته دار السلام بعمر آباد جنوبى الهند فى ٢٦ / ربيع الثانى ١٣٩٧ هـ ، و كان ينوى من زمان زيارة دار العلوم و سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى كان قد وجه إليه الدعوة لزيارة الهند حينما زار دولة الامارات العربية المتحدة فى عام ١٩٧٤ لأول مرة .

اجتمع سعادة الشيخ كامل بسماحة الشيخ الندوى و سر سروراً عظيماً بما قد أتاح الله له هذه المناسبة الكريمة ، و فى صباح اليوم التالى عقدت حفلة عامة للترحيب بالضيف الجليل حضرها جميع الأساتذة و الطلاب رأسها سماحة الشيخ الندوى الذى تفضل بتقديم كلمة عرف فيها الضيف الكريم إلى الحفل و ذكر صلته معه و مع ندوة العلماء ، ثم تفضل سعادة الضيف بكلمة وجيزة و لكن غزيرة المعانى ، لفت فيها أنظار الطلاب إلى أمور مهمة تعود عليهم بالنفع الكبير وتضمن لهم النجاح فى المستقبل إذا ما تمسكوا بها ، ومثل الطلاب

فى هذا الحفل الأخ سلمان الحسينى بكلمة ألقاها نيابة عنهم و مثل النادى العربى الأخ عبد الله الحسنى وألقى كلمة وجيزة ، ومثل جمعية الاصلاح الأخ ظفر أحمد و ألقى كلمة وجيزة ، و انتهى الحفل بكلمة ألقاها كاتب هذه السطور ، وشكر فيها الضيف الكريم على كلمته وتشريفه ، ثم غادر سعادة الضيف إلى بنارس .

« بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨ »

فلا مكان لها فى أمة الاسلام ، فى أمة محمد ﷺ ، فى خير أمة أخرجت للناس .

و ينبغى لها أن تحذف فى أمة تواجه أخطر التحديات ، و المؤامرات فى العصر الحديث . .

حياة بعيدة عن التنعم و الرخوة و النعومة . . و مناهج تربوية تتسم بالأصالة والاستقلال ... و وسائل مسخرة فى سبيل الدعوة ، وحظر النشاطات الثقافية المشبوهة من أجل الحفاظ على شرف الشباب المسلم و الحفاظ على كرامة البنت المسلمة . . من لوازم البناء الاسلامى فى العصر الحديث . .

و كل مواجهة للحضارة المعاصرة ، أو صدها أو التعامل معها لا يأتى فى هذا الضوء يبقى عقيماً أو ضعيفاً منهاراً لا يحتمل أى صدمة .

و كل تقييم لهذه الحضارة يأتى ناقصاً أو مشبوهاً ، إذا فاتنا هذا المقياس الاسلامى للحضارات و المدنيات و الثقافات وا لآداب .

محمد الحسني